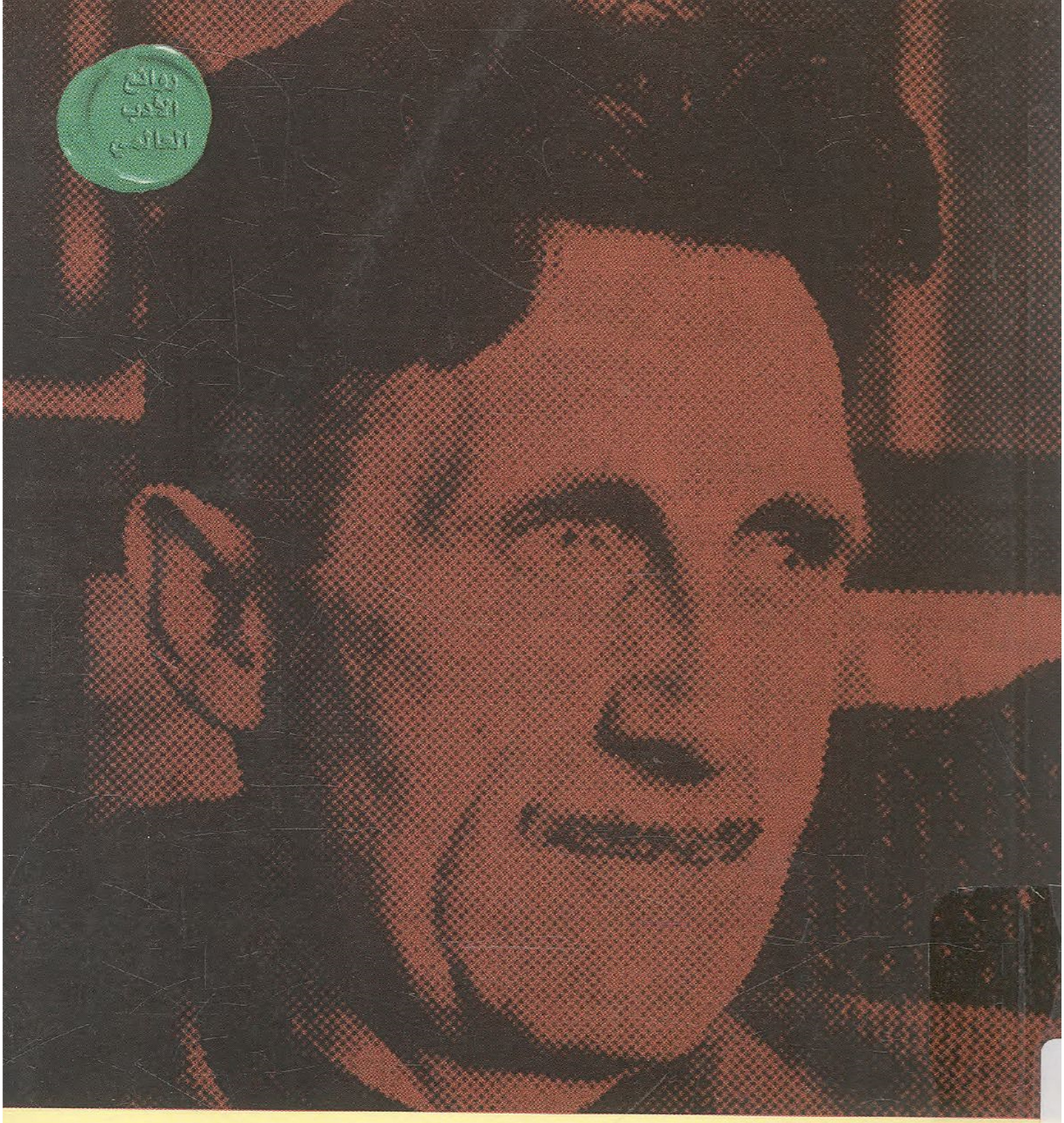


جورج أورويل

مزرعة الحيوانات

رواية

دار الشروق

مزرعة الحيوانات

طبعة دار الشروق الأولى ٢٠٠٩

رقم الإيداع ١٠٥٨١/٢٠٠٨

ISBN 978-977-09-2406-8

٨ شارع سيبويه المصرى
مدينة نصر ـ القاهرة ـ مصر
تليفون: ٢٤٠٢٣٣٩٩
فاكس: ٢٤٠٣٧٥٦٧ (٢٠٢)
email: dar@shorouk.com
www.shorouk.com

جورج أورويل

مزرعة الحيوانات

رواية

ترجمة

شامل أباظة

مراجعة

ثروت أباظة

دار الشروق

١

جورج أورويل

جورج أورويل هو الاسم الأدبى المستعار الذى اشتهر به المؤلف والكاتب أريك بلير، وقد ولد بالهند سنة ١٩٠٣، وتلقى تعليمه فى كلية إيتون.

ابتدأ حياته العملية ضابطًا فى الوحدات الهندية الإمبراطورية، وعمل فى بورما فى الفترة ما بين سنة ١٩٢٢ حتى سنة ١٩٢٨، ثم أقام سنتين بعد ذلك فى باريس، وعاد إلى إنجلترا؛ ليعمل مدرسًا بها، ثم موظفًا بمكتبة.

وفى سنة ١٩٣٧ حارب فى صفوف الجمهوريين بإسبانيا وجرح بها، وفى الحرب العالمية الثانية عمل بالحرس الوطنى وبالإذاعة البريطانية، وفى سنة ١٩٤٣ اشترك فى تحرير مجلة تريبيون، وخصصت له صفحة كاملة، لينشر خواطره الأدبية والسياسية، ثم التحق بجريدة الأوبزيرفر، وأوفدته مراسلاً خاصًا لها فى فرنسا وألمانيا، وقد توفى سنة ١٩٥٠ بإنجلترا بعد أن ترك الكثير من المؤلفات.

وفى سنة ١٩٤٥ ذاع صيت جورج أورويل عندما نشرت له قصة «مزرعة الحيوانات» (Animal Farm)، وقد بيع منها أكثر من مليونى

نسـخـة، وحظى مـؤلفـه «في عـام ١٩٤٨» (Nineteen Eighty Four) كذلك بشهرة كبيرة ونجاح مماثل، كما نال الاهتمام البالغ حين أخرج فى السينما والتليفزيون.

وقد جمعت رسائله ومقالاته وأعمـاله الأدبية فى مؤلف من أربعة أجزاء.

المترجم

الفصل الأول

أغلق مستر جونز صاحب مزرعة مانور الباب الخارجى للحظائر كعادته عند المساء إلا أنه كان ثملاً للغاية، حتى إنه قد نسى أن يغلق الحظائر المختلفة لجميع حيوانات المزرعة!

وعلى ضوء مصباحه الذى يتراقص من أثر الريح اجتاز الفناء، وقذف بحذائه عند الباب الخلفى لبيته، وسكب لنفسه آخر ما فى البرميل من جعة، وشرب كأسه بالمطبخ، ثم انسحب إلى حجرة نومه بالدور العلوى حيث كانت زوجته تغط فى نومها.

وما كاد نور حجرته ينطفئ حتى اندفع صخب فى أنحاء المزرعة؛ فقد وصل إلى علم الحيوانات فى أثناء النهار أن الخنزير الهرم الحكيم «ماجور» الحائز على جائزة معرض ويلنجدون قد واتاه فى الليلة السابقة حلم غريب رأى أن يذيعه على جميع حيوانات المزرعة، وكان من المتفق عليه أن يجتمعوا فى الحظيرة الكبيرة عند الليل بعد نوم مستر جونز.

ولقد كان «ماجور» العجوز خنزيراً مرموقًا بالمزرعة، وكان الاسم الذى عُرض به حين حاز الجائزة هو فتى ويلنجدون الجميل! وكان يسعد الحيوانات جميعها أن تستمع إليه وإن ضحت فى سبيل ذلك

بساعة من نومها؛ وفى نهاية الحظيرة الكبيرة اعتلى «ماجور» كومة من القش وقد كست وجهه سمات الطيبة ومظاهر المهابة والوقار والحكمة!

وقد زاد هذه السمات تبلوراً، أنيابه البارزة الطويلة بعد أن ناهز من عمره الاثنى عشر عامًا.

وتوالى حضور الحيوانات، واختيار الأماكن المناسبة تأهبًا للاستماع، وقد بادرت بالحضور الكلاب الثلاثة بلوبل وجيسى وبنشر، وخنازير الحظيرة التى تربعت عند مجيئها على القش الذى يلى منصة «ماجور» مباشرة؛ كما تجمع الدجاج على أفاريز الشبابيك، وحط الحمام على العروق الخشبية لسقف الحظيرة ورقدت الأغنام والبقر خلف الخنازير تتحرك أفواهها وهى تجتر غذاءها، ثم أقبل بوكسر وكلوفر حصانا الجر بالمزرعة، وكانا على حذر حينما تربعا على القش خشية أن يدهما كائنًا من الحيوانات الصغيرة التى ربما استخفت فى غياهب القش!

وكلوفر فرس تقترب من منتصف عمرها تبدو عليها طيبة الأم، ممتلئة لم تستطعْ أن تستعيد رشاقتها الأولى بعد أن وضعت مولودها الرابع.

أما بوكسر فهو حصان ضخم مرتفع القامة، يبلغ من القوة ما لا تتاح لحصانين مجتمعين معًا، وتحت أنفه شامة بيضاء تضفى عليه سمات الغباء! ولقد كان فى الواقع سطحى التفكير، وإن استطاع أن يكتسب لنفسه احترام زملائه من الحيوانات الأخرى نظراً لطاقته الضخمة فى العمل، وما يتمتع به من أخلاق عريقة.

ثم أقبلت بعد ذلك موريل العنزة البيضاء، وبنيامين حمار المزرعة،

وكان بنيامين هذا أطول حيوانات المزرعة عمراً وأسوأهم طبعًا، نادر الكلام، فإن تكلم فليبدى تهكمه: فهو ربما يقول: إنه يدرك أن الله قد منّ عليه بالذيل لكى يهش به الذباب عن نفسه، ولكن أما كان الأحرى به أن يخلقه بلا ذيل ويرحمه الله من جور الذباب جميعًا، فإذا ما عاتبته الحيوانات على عبوسه المستمر دافع عن نفسه بقوله: إنه لا يرى فى الدنيا ما يضحك!

وكان بنيامين يخلص وده لبوكسر دون أن يصرح بهذا، وكان يقضى بجانبه دائمًا عطلة يوم الأحد يرعى معه الحشيش فى صمت خلف حديقة الفاكهة.

وما كادت الخيل تتوسد القش حتى وفد على القاعة بط صغير فقد أمه، وأخذ فى الصياح، فضمته كلوفر بين قدميها، واستقر فى الدفء، ثم استسلم للسبات!

وأقبلت بعد ذلك مولى المهرة الغرّة البيضاء وهى تتبختر فى مشيتها وقد ربطت إلى معرفتها شريطًا أحمر ضفره لها مستر جونز، وراحت تجرش قطع السكر محدثة صوتًا حاولت به اجتذاب انتباه الآخرين متباهية بجمالها والشريط الذى يزينها! وأخيراً أقبلت القطة وحشرت نفسها بين بوكسر وكلوفر حيث الدفء اللذيذ، واستسلمت للنوم دون أن تكلف نفسها عناء الاستماع لكلمة واحدة من محاضرة الخنزير «ماجور»! وبذلك اكتمل عقد اجتماع المزرعة ما عدا موسى ـ غراب مستر جونز المدلل الذى اعتاد النوم فى عش وراء الباب الخلفى لمنزل المزرعة.

وعندئذ أخذ «ماجور» فى سعال يجلو به صوته فى بداية الاجتماع، وقد أرهف الحاضرون السمع، واستهل «ماجور» محاضرته قائلاً:

«أيها الرفاق، لقد سمعتم بالطبع بالحلم الغريب الذى أتيح لى فى الليلة الماضية والذى سأقص عليكم فحواه فيما بعد؛ إذ أن عندى الخطير من الأمور التى رأيت أن أقدمها لكم، أولاً: إننى كما تعلمون قد بلغت من العمر أرذله، وربما لا تمتد حياتى شهورًا طويلة قادمة، وقد رأيت لزامًا على أن أحدثكم بخلاصة حكمتى وتجاربى وما زال فى العمر بقية! لقد أتاح لى عمرى المديد الذى قضيت شوطًا طويلاً منه وحيدًا بحظيرتى فى تفكير متصل - أن أصل إلى أسرار الحياة فوق هذا الكون، وذلك هو محور حديثى الذى أزمع أن أقدمه إليكم.

ثم استطرد «ماجور» قائلاً: والآن أيها الرفاق، ما طبيعة الحياة التى نعيشها معشر الحيوانات؟ دعونا نواجه أمورنا بصراحة: حياتنا جد قصيرة، نقضيها فى كد وعناء! نحن نولد فلا يسمح لنا إلا بالكفاف الذى لا يكاد يمسك علينا رمقنا، والحيوانات يستغلها الآدميون فى أعمالهم فتشقى بها حتى أنفاسها الأخيرة! فإذا ما انتهت الحاجة إليها قادوها للذبح فى قسوة بالغة! وقد وئدت الحرية بإنجلترا حتى أصبحت الحيوانات لا تعرف معنى السعادة أو الراحة منذ بداية حياتها إلى نهايتها! إن حياتنا فى حقيقتها هى الشقاء مجسدًا والعبودية فى أبشع صورها!

أما من جانبنا معشر الحيوانات فهل كتب علينا الاستسلام لهذه الأوضاع على أنها من طبائع الأشياء؟ وهل الأرض التى نعيش عليها من الشح والقحط بحيث لا يمكنها أن تجود علينا بعيش مناسب كريم؟ كلا وألف كلا؛ فإن أرض إنجلترا خصبة، ومناخها طيب تستطيع معه أن تجود بالخيرات لأضعاف الأعداد التى بها الآن من الحيوانات: فالمزرعة التى نعيش عليها مثلا تستطيع أن تأوى عشرة خيول وعشرين بقرة ومئات من الغنم فى أكرم حياة تستطيع أن تهفو إليها آمالنا، فعلام

إذن نواصل تلك الحياة التعسة؟ ما من سبب يدعو لذلك إلا جشع الإنسان الذى يستحوذ على فائض الإنتاج، وهى الحقيقة المرة التى تفسر لنا أسباب تعسنا وإن دارت كلها حول محور واحد هو الإنسان! إن الإنسان هو عدونا الأوحد والأزلى، فإذا ما استبعدناه من طريقنا فإننا نكون بذلك قد محونا جذور الجوع والعبودية إلى الأبد!

فالإنسان ـ أيها الرفاق ـ هو المخلوق الوحيد الذى يستهلك ولا ينتج؛ فهو لا يدر اللبن ولا يبيض، وهو أوْهَى من أن يحرث الأرض بنفسه، وهو أبطأ من أن يلحق بالأرانب ليصيدها بيديه، ومع ذلك فإنه السيد على جميع الحيوانات، يسخرها فى العمل ولا يجود عليها إلا بالكفاف مستأثرًا لنفسه بكل الطيبات!

أما نحن الذين نحرث الأرض ونسمّدها فليس لنا ما نتملكه حتى جلودنا!

أيتها الأبقار التى أمامى: أى ألوف من لترات اللبن حلبت فى العام الماضى وكان من حقك أن تربى عليها أبناءك من العجول الصغيرة؟ إن كل قطرة منها تسربت إلى بطون أعدائنا! وأنت أيها الدجاج، كم من البيض أنتجت فى عامنا هذا؟ وماذا بقى منه لأغراض الفقس؟ إن هذا البيض ذهب إلى السوق؛ ليجلب مزيدًا من المال لجونز وعصابته! وأنت يا كلوفر، أين مهراتك الأربعة التى ولدت؟ لم تبق فيها بالمزرعة واحدة لتكون سندًا لك فى شيخوختك! لقد باعها جونز جميعًا وليس لك من أمل فى رؤيتهم مرة أخرى، برغم عملك المتصل بالحقل ووجباتك الهزيلة!

ومع تلك الحياة التعسة التى نعيشها فإن البشر لا يسمحون لنا أن نستمر فيها إلى نهايتها الطبيعية!

أما فيما يتعلق بنفسي فليس لي أن أشكو هذا؛ لأنني أعد نفسي من المحظوظين وقد بلغت الثانية عشرة من عمري ولي من الذرية ما يربو على أربعمائة خنزير! وهذه هي الحياة الطبيعية المقدرة للخنازير، إلا أنه فيما يتعلق بكم فما من حيوان سيفلت من حد السكين في نهاية المطاف!

أيتها الخنازير الصغيرة التي تجلس أمامي، إنك ستعدمين حياتك القصيرة التي ستصل بعد عام إلى نهايتها البشعة، هذا هو المصير المرعب الذي يتهددكم جميعًا من أبقار وخنازير وغنم وغيرها؛ حتى الخيل والكلاب فهي ليست أسعد منا حظًا: فأنت يا بوكسر حينما تذوي عضلاتك القوية فإن جونز سيبيعك للجزار ويرمي بلحمك لكلاب الصيد! أما الكلاب إذا ما شاخت وسقطت أنيابها فإن جونز سوف يعلق في رقبتها حجراً ويرمي بها في أقرب بركة!

ألم يتضح لكم بعد أيها الرفاق أن الإنسان وحده هو مصدر مصائبنا؟ عليكم إذن أن تتخلصوا منه، وعندئذ تعود إلينا ثمرات عملنا! إنني لا أشك لحظة أن حلمنا هذا في الحرية والثراء لا بد أن يتحقق، ولكنّ علينا واجبًا شاقًا يجب أن نؤديه، إن علينا أن نعمل ليلاً ونهارًا بأرواحنا وأجسادنا لقلب نظام الجنس البشري!

إن الثورة هي رسالتي إليكم أيها الرفاق، وإن كنت لا أستطيع أن أتنبأ لكم بموعدها؛ فقد تتحقق بعد أسبوع أو بعد مائة عام، ولكنني واثق تمامًا من حتمية مسيرتها ثقتي من وجود القش الذي أدوسه بأقدامي، فإن العدل لا بد أن يسود!

ركزوا أنظاركم على هذا الهدف المنشود أيها الرفاق حتى النفس الأخير من حياتكم القصيرة؛ وعليكم أن تنقلوا رسالتي هذه للأجيال

القادمة، حتى نصل بأهدافنا إلى النصر، وواصلوا الجهاد بعزيمة لا تلين، وعليكم ألا تتفرقوا فى سراديب الخلافات المذهبية!

ولا تسمعوا لمروجى الدعايات المضللة التى يرددها الإنسان وأعوانه من أن لهم ولنا معشر الحيوان أهدافًا مشتركة وأن لنا نصيبنا مما يسكب عليهم من خيرات؛ إنها محض افتراءات. إن الإنسان لا يتحرى إلا مصلحته الذاتية. أما نحن معشر الحيوانات فلا بد لنا من أن نتحد فى طريق الثورة. شعارنا (البشر جميعًا أعداؤنا! والحيوانات كلها رفاقنا).

وإذ ذاك خرجت أربعة فئران من جحورها مستطلعة، واندست فى الصفوف الأخيرة فدهمتها الكلاب، وكادت تغرس فيها أنيابها لولا أنها لاذت بالفرار، وعادت لجحورها فى الوقت المناسب، وأثارت هذه المعركة ضجة شديدة فرفع ماجور رجليه الأماميتين مشيراً بالتزام الهدوء واستأنف حديثه قائلاً: أيها الرفاق علينا أن نحدد منذ البداية جميع الأمور بجلاء:

هل ستُعتبر الحيوانات البرية كالأرانب والفئران من زمرة أصدقائنا أو نتخذهم أعداء؟ وطرح هذا السؤال للتصويت، وتمت الموافقة بأغلبية ساحقة من الأصوات على اعتبار الحيوانات البرية صديقة، ولم يخرج على هذا الإجماع إلا أربعة من الحضور، القط والكلاب الثلاثة التى تبين أن الأمر قد التبس عليهم فأدلت بأصواتها مع الجانبين! واستأذن ماجور قائلاً: إن لدى القليل لأقوله بشأن ضرورة استمرار الكفاح فى سبيل معاداة الإنسان وفضح أساليبه! وإن شعارنا هو أن كل من يدب على قدمين اثنتين عدو لنا، وكل ما يمشى على أربع أو ما يطير صديق لنا! وما دمنا قد انتهجنا سبيل الحرب ضد الإنسان فإن علينا أن نتجنب

التشبه به وبأساليبه؛ فإذا كتب لنا النصر فعلينا أن نتجنب كل العادات والتقاليد البشرية مثل اتخاذ المساكن أو النوم على الأسرة أو لبس الأزياء أو شرب الخمر أو التدخين أو التعامل بالنقد أو الاشتغال بالتجارة؛ فإن هذه العادات البشرية جميعًا إنما هى من اختراعاته الشيطانية! وعلينا أن نضع فى اعتبارنا أنه من الأمور الجوهرية ألا يحاول حيوان ما أن يستعبد أبناء جلدته من الحيوانات الأخرى مستغلاً ضعفها أو غباءها؛ فإن الحيوانات كلها سواسية!

والآن فقد حان الوقت، لأحدثكم عن حلم ليلتى الماضية؛ فإن أمره لغريب حتى لا أستطيع أن أصفه لكم؛ فقد كنت أحلم بالأرض وهى تخلو من البشر! وقد أعاد لى حلمى هذا ذكرى من طفولتى عن أغنية كانت أمى ترددها لى، وكنت قد نسيتها إلا أصداء نغم وبقايا من كلمات، وقد بعثت فجأة إلى خاطرى حية تنبض بالقوة كاملة لا نقص فيها منذ أن غناها الرعيل الأول من البهائم، ثم علاها بعد ذلك صدأ النسيان!

إننى رأيت أن أنشدها لكم أيها الرفاق برغم كبر سنى وخشونة صوتى! فإذا ما حفظتموها استطعتم بعد ذلك ترديدها وأداءها خيراً منى وعنوانها: «يا وحوش إنجلترا».

وجلا ماجور صوته، وابتدأ فى الإنشاد بصوت خشن وأداء ممتاز، وكانت أنغامها مثيرة وكلماتها عجيبة تقول:

يـا وحــــوش إنجلتــــرا   وقطيع إيرلندا العـــتـــيــدْ
من صــغــيــر وكــبــيــر   وقــــريب وبعـــيـــــد
إنـهـــــا بشــــرى المنى   إنه الفـــجـــر الجـــديد

عن غـد يحطم فـيـه الوحش م أغـلال القـيـود !

* * *

فى غـد ينـقـلب الظـلـم م وتنـهـد المعـاقـل
دولـة الإنسـان دالـت وهو فى الأعـقـاب زائل
لـيـسـت الأرض لإنسـىّ م من الأشـرار قـاتـل !
إنما الأرض لمـن كـد م عـلـى الأرض ونـاضـل

* * *

لا كـانت أسـبـاب الحـيـف أو كـانـت حلْقـات الأنف
لا كـان السـرج بأظهـرنا أو كـانت ألـوان الخـوف
أو كـانت فـرقـعـة السـوط لـذوات الحـافـر والظلف
إن الإنسـان لجـبـار إن كـانت يقـابل بالضـعـف

* * *

الفـول لـنا والقـمح لنا والقـرطم والبـرسـيم لنا
نمحـو الإنسـان من الدنيـا لنقـيم دعـائـم دولـتـنا
ونـرد مظـالـم إخـوتـنا ونعـز مـبـادئ ثورتنا
الفـول لـنا والقـمح لنا والحـقل بما يحـويه لنا !

* * *

الثـورة بوتقـة الغـضب ثـوروا لـليـوم المرتقـب

مــــرحى بالكد وبالتـــعب!   لــن نـنـجـح إلا بـالـنَّـصَــبَ

من حــقق حلمًــا قــبلكمــو   إلا بـالـســـــعى وبـالـدأب؟

سنشـــور كـــألسنة اللهب   ســعـيًّــا للحق المغـتــصَب!

* * *

وقد أثار ترديد هذا النشيد حماسًا عنيفًا بين الحيوانات، وما كاد ماجور يصل إلى نهايته حتى أخذت تردده من جديد لأنفسها. وكان مما أثار العجب أنه حتى الحيوانات التى لا تتميز بالذكاء استطاعت أن تلتقط بعض أنغام النشيد ونتفًا من عباراته! أما الحيوانات ذات الذكاء كالخنازير والكلاب فقد حفظته عن ظهر قلب فى دقائق معدودات! وبعد محاولات قليلة اتسقت أصوات الحيوانات على اختلافها فى ترديد نشيد (يا وحوش انجلترا) فى نسق واحد دون أن يبدو منها نشاز يذكر!

البقر بخواره والكلاب بنباحها والغنم بثغائها والخيل بصهيلها والطيور بهديلها ـ غمرها النشيد بنشوة عارمة حتى إنها أعادته خمس مرات متتاليات! ولو تركت لشأنها لما سكتت عن الترديد. إلا أن الضجة أيقظت مستر جونز، فظن أن ثعلبًا تسلل للمزرعة، وقفز من فراشه وامتدت يده إلى بندقيته التى يحتفظ بها قريبًا من سريره؛ ومزقت سكون الليل عدة رصاصات استقرت فى حائط حظيرة الاجتماع، وبذلك أسدل الستار المفاجئ على الاجتماع، وهرعت الحيوانات إلى مضاجعها؛ والطيور إلى عشاشها، وفى لحظات كان الجميع فى سبات عميق!

الفصل الثانى

قضى ماجور نحبه فى سلام فى شهر مارس، وبعد ليال ثلاث من وصيته الأخيرة، وقد ووری جسده بالتراب تحت شجرة تفاح بالمزرعة .

وكان لمحاضرة ماجور صداها البعيد على الحيوانات التى تمتاز بالذكاء. فابتدأت فى تنظيم حركات سرية فى الأشهر الثلاثة التى تلت وفاته، وقد اختلفت نظرتها القديمة للحياة، ومع أنها كانت لا تدرك متى تتحقق نبوءة ماجور، ومع أنها كانت لا تتصور أنها قابلة للتحقيق وهى على قيد حياة؛ فإنها ـ مع ذلك ـ قد اقتنعت أن واجبًا لا مناص منه يقع على كاهلها فى الإعداد لها!

ولما كانت الخنازير هى أذكى الحيوانات فقد تكفلت بمهام التنظيم ونشر الدعوى بين الحيوانات الأخرى، وقد برز فى هذه المجالات خنزيران شابان هما سنوبول ونابليون، كان يعدّهما مستر جونز للبيع .

وكان نابليون ضخم الحجم ذا قسمات قاسية، ولد فى مقاطعة بركشاير، وهو لا يمتاز بطلاقة اللسان، ولكنه مع ذلك كان دائمًا يصل إلى أغراضه بوسائلة الخاصة، أما سنوبول فقد كان أكثر حيوية من نابليون وأكثر فصاحة معروفًا بسعة الأفق، وإن كان يفتقر إلى قوة الشخصية التى يتحلى بها غريمه .

أما بقية خنازير المزرعة فهى خصيّة معدة للتسمين ليس فيها من ذوات الرأى إلا خنزير يدعى سكويلر، مستدير الخدود أثقل الشحم خطاه، وضغط على قسمات وجهه فضاقت عيناه، وأثر على صوته، فصارت نبراته كالصرير، متحدث لبق وله لازمة إذا ما استبد به الحماس: يترنح بعصبية ذات اليمين وذات اليسار، ويهز ذيله بهمة لا يملك معها السامعون إلا الاقتناع حتى أشيع عنه أنه من القادرين على قلب الحق باطلاً والباطل حقًا!

وأخذت هذه الخنازير الثلاثة فى تقنين تعاليم ماجور، وإخراجها فى مذهب فكرى متكامل عرف بالحيوانية Animalism، وأخذت على عاتقها مهمة شرحه ونشره على الحيوانات الأخرى فى اجتماعات متعددة فى أثناء الليل حيث يأوى مستر جونز إلى فراشه.

وقد لاقت الخنازير الثلاثة فى بداية الأمر صعوبة بالغة فى نشر دعوتها لما اعترضها من غباء الحيوانات الأخرى واستكانتها للأمر الواقع، حتى إن فيها من كان يرى ضرورة الإخلاص لجونز وأصرت على الإشارة إليه بلقب السيد! وكانت تحمد له صنيعه فى إيوائها وإطعامها، وكانت تخشى عاقبة الخروج عن طاعته، وكانت الحيوانات المستكينة لا تخجل من أن تجادل بأن الموت مكتوب عليها بطريقة ما، وبأنها إذا ما ماتت فإنها لا تأبه بما بعد الموت! وإذا ما ذكرت لها الخنازير الثلاثة أن الثورة آتية لا ريب، وأنها من الأمور الحتمية تساءلت: فعلام إذن الجهاد والتعب فيما هو آت بالضرورة واقع بالحتمية؟ وهكذا لاقت الخنازير الثلاثة عنتا أى عنت فى إقناعها بنصوص المذهب الجديد وروحه، وبضرورة الالتزام به والعمل فى سبيله.

وربما كانت أكثر التساؤلات غباء وسطحية ـ هو سؤال المهرة مولى:

هل ستحظى بعد الثورة بقطع السكر؟ وهل ستتمكن من أن تزين معرفتها بالأشرطة الملونة؟ فقاطعها سنوبول وعنفها بحدة على ملاحظاتها السخيفة، وذكر لها أنه ليس لدى الثورة المقدرة على جلب السكر، كما أنها لا تعنى بذلك، ويكفى ما لديها من حنطة ودريس! أما بخصوص الشرائط فقد وجه سنوبول حديثه لجميع الحيوانات محذراً منها؛ فهى فى رأيه رمز العبودية والتبعية، وإن الحرية تستحق من الحيوانات التضحية بمثل هذه المظاهرة التافهة! واضطرت مولى المسكينة أن تتظاهر بالموافقة عن غير اقتناع؛ كما وجدت الخنازير عنتًا فى مواجهة حملة الدعاية الخبيثة التى كان يشيعها موسى غراب مستر جونز المستأنس، والذى اعتاد نقل الكلام وإفشاء الأسرار وإطلاق الإشاعات المحبوكة! وقد كان يدعى وجود بلد غريبة اسمها «جبل السكر نبات» تبعث فيها الحيوانات بعد موتها، وهى فيما وراء الغيوم مباشرة فى السماء! وفى هذه المملكة السماوية ترتاح الحيوانات من عناء العمل الدنيوى، ولها ما شاءت من برسيم فى كل الفصول، وعلى حدود حقول البرسيم تنمو أسوار من الفطائر اللذيذة «والسكر نبات»!

ومع أن الحيوانات كانت تبغض موسى لكسله وخبثه، فإن بعضها كانت تؤمن بنبوءته عن مملكة «السكر نبات» وإن نفت الخنازير احتمال وجودها، وكان من أخلص التلاميذ للمذهب الخنزيرى الجديد بوكسر وكلوفر اللذان استوعبا جميع التعاليم الجديدة، وعملا على التبشير بها بين شتى الحيوانات فى عبارات بسيطة. لا يتكلمان إلا بوحى المذهب، ولا يفكران إلا فى حدوده، ويواظبان على الاجتماعات فى الحظيرة، ويتزعمان إنشاد «يا وحوش إنجلترا» فى ختام الجلسات.

وفى غفلة من الزمان ـ وبسهولة لا يمكن أىٌّ أحد تصورها ـ انبعثت

الثورة، وتم لها النجاح: ففى السنوات الخالية البعيدة كان مستر جونز يحسن إدارة مزرعته، ويتسم بالقسوة وحب النظام إلا أنه قد أخذ فى التراخى بعد أن فقد ثروته، واستسلم بعد ذلك للسكر والعربدة!

وقد أصبح يقضى جل وقته فى مطبخ منزله بالمزرعة على كرسيه المريح، يقرأ الصحف ويسكر ويطعم غرابه موسى من وقت لآخر بقطع من الخبز المغموس فى الجعة، وتحول عمال المزرعة إلى شلة من الكسالى الخربى الذمة، فدبت الأعشاب فى الحقول، وتشقق سقف المنزل، وأهملت أسوار المزرعة، وأسلمت الحيوانات للإهمال والجوع!

وأقبل شهر يونية حينما كان الدريس معداً للحصاد، وفى يوم السبت ـ الذى يوافق يومًا يحتفل به الزارعون يسمى بعيد منتصف الصيف ـ سافر جونز إلى ويلنجدون للاحتفال بهذه المناسبة فى حانة «الأسد الأحمر»، واستسلم للشرب حتى ثمل فى سكره ولم يفق إلا عند منتصف يوم الأحد التالى تاركًا أمور المزرعة فى أيدى عماله!

وقد حلب العمال البقر فى صباح يوم الأحد، ثم ذهبوا لرحلة يصيدون فيها الأرانب دون أن يلتفتوا إلى إطعام الحيوانات الجائعة، وعاد مستر جونز من سفره واتجه إلى حجرة الجلوس بالمزرعة مواصلاً نومه على الأريكة وقد خبأ وجهه بصحيفة «أخبار العالم»، واستمرت الحيوانات على جوعها حتى المساء، وهو الأمر الذى لم تستطع معه صبراً، وفجأة دفعت إحدى الأبقار باب المخزن بقرنيها، فاندفعت الحيوانات داخله تأكل ما به من غلال!

واستيقظ مستر جونز واستدعى عماله الأربعة الذين كانوا قد عادوا من رحلتهم، وانبروا جميعًا وفى أيديهم سياط يضربون بها الحيوانات

ويردونها عن المخزن، وكانت هذه القسوة أكثر مما تحتمله الحيوانات الجوعى، وبدون ترتيب سابق، وفى وحدة من القصد انقلبت الحيوانات على جلاديها تركلهم وتعضهم حتى أفلت الزمام من أيدى الرجال الذين لم يعرفوا من قبل سابقة لهذه الظاهرة، فتوقفوا عن الدفاع عن أنفسهم، وانتابهم رعب شديد، وهرعو إلى خارج المزرعة، واتجهوا إلى الطريق العام والحيوانات تتبعهم بعد أن تم لها الانتصار! وكانت مسز جونز تتبع الموقعة من نافذتها، وحينما رأت ما حل بزوجها ورجاله جمعت حاجاتها فى عجالة، واندفعت تجرى فى الاتجاه الآخر والغراب موسى يطير وراءها وهو ينعى أيام السعادة والهناء! ولما أيقنت الحيوانات النصر وتيقنت هروب أعدائها عادت، فأغلقت باب المزرعة الكبير ذا العوارض الخمس، وهكذا وقبل أن تدرس الحوادث أو تسلسل حلقاتها أيقنت الحيوانات أن الثورة قد نجحت ورسخت وأن مزرعة جونز قد أصبحت ملكًا خالصًا لها!

وفى الدقائق الأولى وقبل أن تفيق الحيوانات من ذهولها المنتشى بهذه المفاجأة السعيدة التى هيأت لها المستقبل الوردى الذى ينتظرها راحت الحيوانات تهرول حول أسوار المزرعة لتطمئن منها القلوب مرة أخرى أنها خالية من البشر، ثم اندفعت بعد ذلك إلى مبانى المزرعة تمحو منها آخر معالم الحكم الإنسانى البائد، واقتحمت مخزن المعدات الذى كان يحفظ فيه مستر جونز الأجمة والسروج وحلقات الأنوف وسلاسل الكلاب والأمواس المخصصة لخصى الخنازير والخرفان، وألقت بها جميعًا فى جوف البركة، كما جمعت السيور وأصفاد الأرجل والسياط وعصابات الأعين وأدوات خرم الأنوف وألقت بها فى النار!

وحينما كانت النار تلتهم أدوات الإرهاب هذه ارتفعت صيحات الابتهاج والاستحسان!

وقد تعمد سنوبول أن يلقي إلى النار أيضًا بالأشرطة الملونة التى كان يزين بها مستر جونز معارف الخيل وذيولها حينما يذهب بها إلى الأسواق! وأعلن أنه يعتبر هذه الأشرطة من قبيل الأزياء البشرية التى تتنافى هى والمذهب الحيوانى ومبادئ العرى! وهنا نزع بوكسر قبعة من القش كان مستر جونز يثبتها على رأسه فى الصيف، لتذود عنه الذباب؛ وألقى بها فى السعير! وتقدم نابليون تتبعه الحيوانات إلى مخزن الغلال وقدم لها وجبة مضاعفة منها، كما قدم للكلاب قطعتين من البسكويت، ثم أخذت الحيوانات بعد ذلك فى ترديد نشيد الثورة سبع مرات متتالية من بدايته حتى النهاية، ثم هدأت بعد ذلك، واستسلمت لنوم لذيذ لم تسعد بمثله من قبل!

وفى الفجر استيقظت وهى فخورة بحريتها الجديدة وبانتصار ثورتها، وتوجهت لمراعى المزرعة، واعتلت فيها ربوة عالية تشرف على المنظر الكامل للمزرعة كلها، وفى نشوة بالغة كانت تجرى وتقفز وتلقى بأجسادها على الحشيش المبلل بقطرات الندى! وتشم رائحة التراب سعيدة بشذاه المنبعث، ثم طفقت بعد ذلك تجول فى أنحاء المزرعة وهى تتأمل ببالغ الإعجاب الحقول المحروثة والدريس، وأشجار الفاكهة والبركة، وكأنها لم تسعد بجمال هذه المناظر من قبل؛ فهى اليوم فقط قد صارت ملكًا خالصًا لها!

ثم توجهت الحيوانات بعد ذلك إلى المنزل الذى يقطنه مستر جونز، وفى قلوبها رهبة تكاد تثنيها فى الدخول، ولكن سنوبول ونابليون فتحا الباب بكتفيهما واقتحما المنزل تتبعهما بقية الحيوانات واجفة تمشى على

أطراف أصابعها وهى تنتقل من حجرة إلى أخرى وكأنها تخشى المجهول الذى يتربص بها، وتتهامس بإعجاب مما تشاهده من مظاهر الأبهة والترف المتمثلة فى الأسرة، والمراتب ذات الريش، (والمرايا) والأرائك والأبسطة البلجيكية ورف المدفأة الفاخر تعلوه صورة الملكة فيكتوريا!

وحين همت بالخروج من المنزل بعد جولتها اكتشفت غياب المهرة مولى فعادت لتجدها مختبئة بحجرة النوم الرئيسية، وكانت تتشح بشريط أزرق من مخلفات مستر جونز، وتنظر لنفسها فى المرآة رائحة غادية وهى فى أشد حالات الإعجاب بنفسها مما أثار موجة من السخط عليها! ثم اتجهت بعد ذلك إلى مطبخ المنزل، وأخرجت لحم الخنزير المقدد لتواريه بالتراب فى مشهد حزين، كما حطم بوكسر برميل الجعة!

وفيما عدا هذا فقد اتفقت جميعًا على الاحتفاظ بالمنزل كما تركه مستر جونز كمتحف لا يليق بالحيوانات سكناه!

وبعد الفطور استدعى سنوبول ونابليون سائر الحيوانات، وخطب فيها سنوبول محذرًا من المهام الملحة التى عليها إنجازها، وقد اقتربت الساعة من السادسة والنصف صباحًا وإن عليها البدء فى حصاد الدريس! غير أنه استرعى أنظارها إلى أن له معها حديثًا قبل أن تتوجه إلى الحقل؛ وقد أعلن عليها أن جميع خنازير المزرعة قد أصبحت تحسن القراءة والكتابة بعد أن تعلمت ذلك من كتب مستر جونز القديمة، وكذلك طلب منه التوجه إلى بوابة المزرعة، على حين كان نابليون يحمل علب طلاء من اللونين الأسود والأبيض، وأمام البوابة أمسك سنوبول بالفرشاة فى شق ظلفه باعتباره أحسن من فى المزرعة خطًا

وأعرفهم بالكتابة، ثم شطب عن اسم المزرعة القديم «مانور» وكتب بدلاً منه «مزرعة الحيوانات» وهكذا أصبح للمزرعة اسمها الجديد! ثم اتجهت الحيوانات بعد ذلك إلى مبانى المزرعة، وطلب سنوبول ونابليون إحضار السلم، وأسند السلم إلى الحائط الخلفي للحظيرة الكبيرة ذلك الحائط الذى أكسبه الدخان المتصاعد لونًا أسود، ثم أعلن الخنزيران سنوبول ونابليون أنهما قد توصلا فى الأشهر الثلاثة الأخيرة إلى اختصار المذهب الحيوانى الجديد الذى بشر به ماجور فى وصايا سبع جمعت جوهر التعاليم، وأنهما قد أزمعا كتابتها على الحائط لتصبح نبراسًا للحيوانات تتمثل به وقانونًا تلتزم بنصوصه! وبشىء من الصعوبة اعتلى سنوبول السلم يساعده فى ذلك سكويلر ويحمل له علب الطلاء، وابتدأ فى الكتابة بحروف واضحة من الطلاء الأبيض يمكن قراءتها من بعد ثلاثين (ياردة) على الحائط الأسود وكانت كالآتى:

الوصايا السبع

أولاً: كل من يمشى على رجلين اثنتين إنما هو من الأعداء!

ثانيًا: كل من يدب على أربع أو له جناحان إنما هو من الأصدقاء!

ثالثًا: غير مسموح للحيوانات بارتداء الملابس!

رابعًا: غير مسموح للحيوانات بالنوم على الأسرة!

خامسًا: غير مسموح للحيوانات بشرب الخمر!

سادسًا: على الحيوان ألا يقتل حيوانًا آخر.

سابعًا: كل الحيوانات سواسية.

وبرغم أن هذه الوصايا قد دونت بخط أنيق فإن كلمة صديق كتبت على سبيل الخطأ الهجائى «صدق» كما كتب حرف السين مقلوبًا،

وما عدا هذا كانت كتابته صحيحة. وقد أعاد سنوبول قراءة الوصايا على الجميع بندًا بندًا، وقد حظيت الوصايا السبع بموافقة الحضور عليها بالإجماع، وقد حفظتها الحيوانات الذكية في التو عن ظهر قلب.

ثم صاح فيها سنوبول بعد أن ألقى بالفرشاة طالبًا منها التوجه إلى العمل مذكرًا لها أن أمامها عملاً ضخمًا يقع على عاتق الحيوانات أن تؤديه خيرًا من جونز وعصابته من الآدميين! وفي هذه الأثناء سمعت الحيوانات خوارًا شاكيًا من البقر التي كان يبدو عليها القلق، واتضح أنها لم تكن قد حلبت منذ أربع وعشرين ساعة، وكانت تشكو أن ضروعها تكاد تتمزق، وبعد شيء من التفكير أحضرت الخنازير الدلاء وقامت بجلب البقر بنجاح، فملأ اللبن الدسم خمسًا منها، وتساءلت الحيوانات عن مصير هذا اللبن الذي أثار فيهم شهوة الجوع، وألمحت الفراخ أن مستر جونز اعتاد أن يمزج العلف الخاص بها بشيء من اللبن!

وعندئذ صاح فيها نابليون الذي جمع دلاء اللبن قريبًا منه أن على الحيوانات ألا ترهق نفسها في التفكير فيما لا يعنيها، وأن عليها أن تتجه مباشرة إلى الحقل لجمع المحصول الذي أصبح يشكل مسئوليتها الرئيسية، وصاح فيها: أيها الرفاق تقدموا، فسأتبعكم بعد قليل. وانتشرت الحيوانات في الحقل للعمل، وحينما عادت إلى المزرعة كان اللبن قد اختفى!

الفصل الثالث

تعبت الحيوانات وكدحت كما لم تكدح من قبل في جمع المحصول، وقد كوفئت على هذا بمحصول وافر، ولم يكن العمل بالحقل سهلاً كما كانت تتصور، فقد كانت أدوات الزراعة والحصاد مصممة لاستعمال الإنسان وحده، وكان من العسير على الحيوانات الوقوف على أرجلها الخلفية، وإمساك الأدوات بالأرجل الأمامية، ولكن الخنازير ذللت مثل هذه الصعوبات بذكائها وحسن تصرفها؛ كما كانت الخيل على علم ممتاز بخبايا العمل بالحقل، وطرق الجرف والحش خيراً من جونز نفسه أو رجاله!

وقد انعقد للخنازير لواء الزعامة نظراً لما تمتاز به من ذكاء، وقد تخصصت في أعمال الإدارة والإشراف، وتركت العمل الحقلي للحيوانات الأخرى، وكان بوكسر وكلوفر يجران آلات الجرف والحرث والحصاد، على حين كانت الخنازير تطلق صيحات التشجيع للحيوانات الأخرى حاثة لهم على العمل، وقد انخرطت جميعها في عمل دائب كلٌ وفق طاقته حتى البط والدجاج؛ فقد كان يحمل ما يستطيعه من الدريس بمناقيره!

وبرغم ضخامة المحصول فقد انتهت الحيوانات من جمعه خلال

يومين وهى فترة بسيطة بالمقارنة بالوقت الذى كان يستغرقه العمل فى الماضى، وبدون فاقد أيضًا؛ فقد عمد الدجاج والبط إلى جميع ما كان يتطاير من الدريس، ولم تسرق الحيوانات من المحصول قضمة واحدة!

وانتظم العمل كالساعة طوال الصيف، وكانت الحيوانات فى منتهى السعادة هنيئة بالطعام الذى زرعته وحصدته بنفسها وأصبح كله لها بعد أن كان يتفضل عليها سيدها الآدمى المترفع بالنزر القليل منه!

وهكذا عم الخير بعد أن اختفى من بينها ذلك الإنسان الطفيلى العديم الجدوى! والأعجب أن أوقات راحتها وفراغها قد زادت على رغم كل هذه الأعمال التى تقوم بها!

غير أن حداثة عهد الحيوانات بالزراعة والإدارة أوقعتها فى كثير من المشاكل؛ فمثلاً فى موسم الحصاد لم يكن لديها آلة لدراس القمح، وبذلك لم يكن أمامها إلا اتباع الأسلوب القديم وهو مداومة المشى على القمح حتى يفرك ثم ينفخ التبن بعيداً، وكان بوكسر بعضلاته الجبارة عونًا لها فى كل ما يطرأ من متاعب، وكان يبذل من الجهد أضعاف ما كان فى عهد مستر جونز الغابر، وهو الجهد الذى ربما عجزت عنه ثلاثة خيول مجتمعة!

وفى واقع الأمر فإن أغلب العمل كان يقع على كاهله، يؤديه ببساطة بين إعجاب جميع رفاقه من الحيوانات؛ فكان يقضى جل وقته منذ بزوغ الشمس حتى غروبها بين جر ودفع حيث يدعوه الواجب، وقد عقد بوكسر مع أحد الديكة اتفاقًا ليوقظه قبل موعد العمل المقرر للآخرين بنصف ساعة على سبيل التطوع، شعاره فى ذلك «سأعمل أكثر» يردده كلما ألمت به أو بالمزرعة ضائقة أو صعوبة، أما الحيوانات الأخرى فقد كانت هى أيضًا تؤدى واجبها كاملاً، كلٌّ وفق طاقته بوازع

من إخلاصها؛ فعلى سبيل المثال فإن الدجاج والبط أنقذ كثيراً من المحصول الضائع بجمع الأعواد المتطايرة؛ كما كفت جميع الحيوانات عن السرقة وامتنعت عن الشكوى من مقرراتها الغذائية وكذلك كفت عن العراك والعض والغيرة التى كانت تسود المزرعة فى عهدها البائد! ولم تتقاعس إحداها عن العمل إلا مولى التى كانت تستيقظ بعد مواعيد العمل، وتنسحب قبل نهايتها منتحلة شتى الأعذار!

وكذلك كانت تصرفات القط مثيرة للشك، فقد كان يختفى عند بداية العمل، ثم لا يظهر (ثانيًا) إلا عند أوقات انتهائها وعند الأكل وكأن شيئًا لم يحدث! وكان يبدى أجمل الأعذار ويموء بإخلاص إذا ما عوتب على مسلكه! أما بنيامين الحمار العجوز فإنه لم يتغير بعد الثورة: يؤدى عمله كما اعتاد أداءه دائمًا بأسلوبه القديم نفسه فى العناد والبطء، ولا يتنصل مما يعهد إليه من عمل، كما أنه لا يتطوع أبدًا بالمزيد! أما بخصوص معتقداته المذهبية فإنه كان يبدى تحفظًا شديدا، ونادراً ما يبدى رأيه صراحة: فإذا ما سئل عن رأيه فى العهد الجديد فى ظل الثورة فإنه كان يتخلص من السؤال بجواب لا يكاد يمت إليه بصلة كأن يقول: إن حياة الحمير مديدة، من منكم شاهد حماراً نافقًا، وكانت رفيقاته من الحيوانات قد أنست لأسلوبه هذا فى المراوغة!

كانت أيام الآحاد هى العطلة الأسبوعية، يقدم فيها الفطور فى ساعة متأخرة، فإذا ما فرغت الحيوانات ابتدأت بعد ذلك فى أداء طقوس اعتادت أداءها فى تلك العطلات، فهى ترفع علمًا أخضر فى الصباح كان مستر جونز يستخدمه مفرشًا فى الزمن الماضى، ثم زينه سنوبول بحافر وقرون. وقد شرح لها سنوبول دلالات اللون والرمز فقال:

إن اللون الأخضر يرمز لحقول إنجلترا، أما الحافر والقرن فهما رمز لجمهورية الحيوان التى هى النواة للجمهورية الكبرى إذا ما انقلب الحكم الإنسانى كله فى إنجلترا!

وبعد رفع العلم وتحيته تتجه الحيوانات إلى الحظيرة الكبرى، ثم تنخرط فى ندوة تناقش فيها أعمال الأسبوع القادم، ويتم الاتفاق عليها بعد أخذ الأصوات، وكانت الخنازير عادة هى صاحبة الرأى والاقتراحات، ثم تعرض هذه المقترحات بعد ذلك للاقتراح بين عامة الحيوانات الأخرى!

وكان سنوبول ونابليون هما ألمع حيوانات المزرعة رأيًا وأكثرها نشاطًا فى هذا المجال وإن لوحظ أن الاثنين قلما يتفقان: فإذا ما أبدى أحدهما رأيًا وحظى بالموافقة فإن الآخر يثير خلافًا على تفاصيله: فمثلاً حينما اتفق على تخصيص مرعى للمسنين من الحيوانات خلف حديقة الفواكه، دب الخلاف بينهما حول السن التى يتاح له أن يستفيد فيها بهذا المرعى!

وفى ختام الاجتماعات ترتل الحيوانات نشيد «يا وحوش إنجلترا» أما بعد الظهر فقد كان يخصص للتنزه!

اتخذت الخنازير من مخزن معدات مركزًا لقيادتها، تدرب فيه على شتى أعمال المزرعة كالنجارة والحدادة وجميع ما يلزم المزرعة من حرف توصلت إلى مبادئها عن طريق الكتب التى تركها مستر جونز! كما تفرغ سنوبول بلا كلل لتأليف لجان عمل: فلجنة من الدجاج لشئون البيض، ولجنة الذيول النظيفة من البقر، ولجنة الوحوش البرية بغرض استئناس الفئران والأرانب، وكذلك تكونت لجنة الصوف الأكثر بياضًا من الغنم؛ كما كونت لجان أخرى لمحو الأمية!

ولم تصادف مثل هذه اللجان كثيراً من التوفيق: فقد استمرت الحيوانات البرية على سيرتها الأولى من التوحش، وكانت تتسم بالأنانية والاستغلال إذا ما أحسنت معاملتها! وقد ساهم القط فى لجنة ترويض الوحوش البرية، وكان غاية فى النشاط فى هذا المجال، فطالما شوهد وهو يحث العصافير البعيدة عن متناوله على التآخى والإيمان بمبادئ الثورة! وإن ظلت جهوده فى هذا الصدد لم تكلل بالنجاح! ومع ذلك فقد حققت لجان محو الأمية قدراً كبيراً من التقدم: فعندما أقبل الخريف كانت بعض الحيوانات قد أحرزت قدراً طيبًا من التعليم: فالخنازير صارت على دراية تامة بالقراءة والكتابة؛ كما كانت الكلاب قادرة إلى حد ما على القراءة وإن تركز اهتمامها بصفة خاصة على الوصايا السبع، وكانت العنزة موريل أكثر منها إجادة لأصول القراءة وعادة ما تقرأ فى المساء لرفيقاتها طرفًا من أخبار الصحف القديمة التى كانت بالمزرعة!

كما كانت درجة إجادة بنيامين للقراءة تضارع مقدرة الخنازير، وإن كان عازفًا عن إبراز موهبته فى ذلك الشأن، وكان يردد دائمًا أنه على حد علمه لا يجد فى الدنيا شيئًا يستحق عناء البحث والقراءة. كما تعلمت كلوفر حروف الهجاء منفصلة التركيب وإن عجزت عن استيعابها فى كلمات أو جمل مفيدة. أما بوكسر فقد توقفت قدرته الذهنية عند الحروف الأولى الأربعة أ، ب، جـ، د، وكان يرسم هذه الحروف على التراب بحافره الكبير، ثم يحاول جاهداً أن يتذكر ما بعدها من حروف وهو يهز رأسه بعصبية؛ وتميل أذناه إلى الخلف دون أن يحالفه التوفيق، فإذا ما وفق مرة فى تذكر قليل من الحروف التى تليها فإن ذاكرته تكون قد لفظت الحروف الأولى التى طالما أنهك ذهنه

فى حفظها؛ ولذلك فقد قرر بلا رجعة التوقف عند حروفه الأربعة الأولى.

أما المهرة مولى فلم تكن لتقبل على الدراسة، ولا تعرف من الحروف إلا تلك المكونة لاسمها، تظل تخطها على أوراق الشجر المتناثرة، ثم تنثر الزهور على مخطوطاتها، وتظل تخطر بينها بدلال جيئة وذهابًا!

أما الحيوانات الأخرى فلم تستطع أن تحفظ حرفًا واحداً بعد حرف الألف، كما عجزت الغنم والحيوانات التى على شاكلتها من الغباء كالدجاج والبط عن حفظ الوصايا السبع حفظًا صحيحًا، ومن أجل ذلك فقد عمد سنوبول إلى اختصار الوصايا فى حكمة واحدة هى «ذوات الأربع أخيار! ذوو القدمين أشرار!» وهى خلاصة المذهب الحيوانى فى رأيه، تعصم الحيوانات التى تعيها من الوقوع تحت التأثير الإنسانى، وقد احتجت الطيور على هذا الاختصار الذى لم يتضمنها - كالوصايا السبع - بنص صريح؛ فهى لا تدب على أربع أرجل، ولكن سنوبول جادلها فى ذلك شارحًا أن أجنحة الطيور إنما هى من قبيل أجهزة الحركة والانطلاق، وليست أيديًا للإمساك واقتراف الإثم كالإنسان؛ ولذلك فإنها تعتبر أرجلاً!

ولم تكن الطيور لتفهم فحوى هذا الجدل المنطقى، إلا أنها تقبلت هذه الفكرة فى صورتها البسيطة، وعمدت إلى تعلم الوصية التى جمعت فأوعت، وظلت تردد لأنفسها لساعات طوال دون كلل أو ملل «ذوات الأربع أخيار! وذوو القدمين أشرار!».

ظل نابليون غير مهتم بلجان سنوبول مدعيًا أنه لا جدوى فى تعليم الحيوانات الكبيرة السن وأن الاشتغال بذلك إضاعة للجهد

والوقت، والرأى عنده أن الحيوانات الصغيرة السن أولى بالتدريب والتعليم!

وبعد موسم الحصاد وضعت الكلبتان جيسي وبلوبل تسعة جراء، وحينما بلغت هذه الجراء سن الفطام أبعدها نابليون عن الكلبتين واستحوذ عليها ليتولى بنفسه مسئولية تعليمها وقد عزلها عن بقية حيوانات المزرعة فى حجرة مهجورة تعلو مخزن الأدوات، لا يمكن الوصول إليها إلا بسلم، وسرعان ما نسيت الحيوانات أمر وجودها، وانشغلت الحيوانات فى أمور جديدة: فقد فطنت أخيراً إلى سر اختفاء اللبن، وعرفت أن الخنازير تختص به فى أكلها، وكذلك كان الأمر بالنسبة لبواكير محصول التفاح؛ فقد أصدرت الخنازير أمرها بجمع ما تقذفه الرياح منه وتقديمه لأكل الخنازير وحدها، وقد أثار هذا التمييز سخط الحيوانات؛ فقد كان المفهوم أنه سيوزع بالتساوى، إلا أن الخنازير كانت قد أجمعت رأيها على هذا القرار بدون استثناء بما فى ذلك سنوبول ونابليون معًا، فلم تجد الحيوانات بدًا من الإذعان. وقد بعثت الخنازير سكويلر مندوبًا عنها لإقناع الحيوانات بشرعية هذا الإجراء فأمر بجمعها ثم خطب فيها قائلاً:

أيها الرفاق، حاشى لكم أن تظنوا أن مبعث هذا الإجراء من قبيل الأثرة؛ فإن كثيراً من الخنازير لا تطيق طعم اللبن والتفاح، وإننى شخصيًا من هذه الزمرة! إلا أننا مضطرون لذلك اضطراراً فإن الغرض الحقيقى وراء هذا القرار هو حفظ حصتنا معشر الخنازير وفقًا للأصول الطبية التى تحتم تقديم مثل هذه الوجبات إبقاء على طاقتنا الذهنية حتى نتمكن من مواصلة أعمالنا فى التنظيم والإدارة والأعمال المناطة بنا والتى تعتمد عليها المزرعة؛ فكما ترون أيها الرفاق: من أجلكم أنتم

نشرب نحن اللبن ونأكل التفاح! ألا تعلمون ما الذى يمكن أن يحدث لكم إذا ما فشلت الخنازير فى مهامها؟

إن جونز يعود ثانيًا، نعم جونز بنفسه أيها الرفاق! وكان يخطب وقد أخذه الحماس فهو يهز ذيله على حين ينتفض من جانب لآخر! واستطرد: من منكم أيها الرفاق يرغب فى عودته؟. وبالتأكيد لم تكن بين الحيوانات من تقبل هذا؛ ولذلك فقد أسرعت بالموافقة على قرار الخنازير فى ضوء هذا الشرح الذى أوضح ضرورة المحافظة على صحة الخنازير موفورة وتخصيص اللبن لها؛ وكذلك بواكير التفاح بل محصول التفاح كله عند نضجه!

الفصل الرابع

في أواخر الصيف ترامت الأنباء بأحداث مزرعة الحيوانات حتى غطت نصف مساحة إنجلترا، وفي كل يوم كان سنوبول ونابليون يرسلان حملات دعائية عن طريق الحمام إلى سائر الحيوانات، يحمل لها رسالة الثورة ويعلمها نشيد الثورة «يا وحوش إنجلترا» وفي ذلك الوقت كان مستر جونز قابعًا في حانة «الأسد الأحمر» في ويلنجدون يبث شكواه لأي إنسان يقبل إضاعة وقته بالاستماع إليه عن حيوانات مزرعته الغبية التي لا تصلح لشيء، وبرغم ذلك فقد استولت عليها! وعادة ما كان الزارعون يتعاطفون ومستر جونز وإن لم يُبدوا أول الأمر اهتمامًا جديًا بمساعدته، بل إن كثيراً منهم كان يحاول أن يصطاد في الماء العكر مستفيداً من مأساته التي يظل يرددها!

وكان من حسن حظ الحيوانات الثائرة ـ أن جاريها صاحبي المزرعتين المحيطتين بها كانا دائمًا على علاقة سيئة بعضهما ببعض.

وكان صاحب المزرعة الأولى مستر بلنكنجتون واسم مزرعته فوكس وود، وكانت متسعة الرقعة إلا أنها مهملة وبدائية في إدارتها؛ كما كانت أشجارها معمرة، ومراعيها قد دب فيها التلف، وكذلك كانت أسوارها في أسوأ حال، وكان مالكها مستر بلنكنجتون من

الأعيان المرفهين الذين يقضون جل وقتهم فى الصيد والرحلات!

أما المزرعة الأخرى بنشفيلد فقد كانت أصغر حجمًا وأحسن إدارة، يملكها مستر فردريك وهو رجل سيىء المعاملة له الكثير من المنازعات القضائية، متشدد ذو دهاء. وكان الجاران خصمين لدودين وعلى خلاف دائم ولو تعرضت فى سبيل ذلك مصالحهما الخاصة لأبلغ الضرر! ولما دبت الثورة فى مزرعة مستر جونز التى تجاورهما فقد خشيا تمرد حيواناتهما؛ ولذلك فقد كانا شديدى الحرص على اخفاء ما يتعلق بهذه الثورة عنها، وكانا يتظاهران فى أول الأمر بعدم الاهتمام بانقلاب الحيوانات، ويسخران من فكرتها، وكانا فى قرارة نفسيهما متيقنين من فشل الثورة، وأنها لن تدوم أكثر من أسبوعين، وأنها ستنتهى حينما تشرف هذه الحيوانات على الموت جوعًا، وكانا يصران على تسمية هذه المزرعة باسمها القديم مانور ولا يطيقان ذكر اسمها الجديد «مزرعة الحيوانات»!

ولما تم نجاح مزرعة الحيوانات ولم تتحقق نبوءة الجارين فى فشلها السريع ابتدأ الجاران فى التودد بعضهما إلى بعض وأخذا يشيعان أبشع الإشاعات عن مزرعة الحيوانات، وكيف أن الحيوانات بها قد رجعت إلى سيرتها الأولى فى التوحش، فأصبحت تأكل بعضها بعضًا؛ كما أصبحت الإناث فيها مشاعًا لجميع الذكور! وأن مثل هذه الأحداث إنما هى فى رأيهما النتيجة المنطقية للخروج على ناموس الطبيعة!

غير أن مثل هذه الشائعات لم تجد صداها بين الحيوانات فى جميع المزارع الأخرى التى كانت تفخر بالثورة وتتيه إعجابًا، حتى إنها كانت تنسب إليها أمجادًا خيالية، ودبت حالة من التذمر والعصيان بين الحيوانات فى عموم البلاد كلها؛ فقد توحشت الثيران التى كانت

طيعة، وحطمت الأغنام أسوار مزارعها، والتهمت البرسيم عنوة، كما رفضت الأبقار الاستسلام للحلابين، وقذفت بالدلاء بعيداً، وأصبحت خيل الصيد عنيدة تمتنع عن القفز على الحواجز؛ فهى تتوقف أمامها فجأة ملقية براكبيها على الأرض فى الجانب الآخر من الأسوار! وذاع نشيد الثورة «يا وحوش إنجلترا» بسرعة مذهلة، ولم يستطع الآدميون كبح جماح غيظهم عند سماعه وإن تظاهروا باستخفافهم بمحتواه! وزعموا أنه غاية فى التفاهة بحيث إنهم يدهشون لتعلق الحيوانات به. وكانوا يجلدونها فى الحال إذا ما ضبطوها متلبسة بالغناء! وبرغم هذه الإجراءات الصارمة فإن سرعة انتشار النشيد لم تتوقف، فالعصافير كانت لا تنى عن ترديده من فوق الأشجار المحيطة بالمنازل والمزارع، والحمام يشدو به فوق أشجار الدردار، وفى أبراج الكنائس كانت الطيور تتغنى به؛ حتى أصبح النشيد ينغص على البشر حياتهم، وينذرهم بمصيرهم المحتوم!

وفى أوائل أكتوبر حينما فرغت الحيوانات بمزرعة الحيوانات من حصاد الحنطة وتأهبت لدراسها ـ إذا بها فى ذات يوم تبصر بالحمام وهو يطير إليها بسرعة ويحط بفناء المزرعة وينذرها ـ وهو فى حالة فزع شديد ـ بأن جونز ورجاله وستة آخرين من مزرعتى فوكس وود وبنشفيلد قد دخلوا عبر البوابة الكبيرة ذات العوارض الخمس وهم يتجهون فى طريقهم إلى مبانى المزرعة يقودهم جونز وهو مدجج بالسلاح ومن الواضح أنهم يحاولون استعادة المزرعة!

ولما كان مثل هذا الهجوم متوقعًا فإن جميع الترتيبات كانت معدة لصده، وكان سنوبول قد قرأ كتابًا قديمًا بالمزرعة عن الخطط الدفاعية فى معارك يوليوس قيصر، ووزع فى ضوئه خطة الدفاع وأدوار المدافعين، وعندما أصدر سنوبول أمره بالتنفيذ كان كل فى موقعه، وحين اقترب

الرجال من مباني المزرعة شن سنوبول هجومه الأول فقد حومت خمس وثلاثون حمامة فوق رءوس المهاجمين وعلى ارتفاع منخفض وهى تلقى بقاذوراتها عليهم، وبينما الرجال يتعجبون لهذا الهجوم المفاجئ - خرج عليهم الإوز من مكمنه خلف السور وهو يعضهم بوحشية فى عضلات أرجلهم، ولم يكن مثل هذا الهجوم الخفيف إلا من قبيل المناوشات التى تسبق المعركة بغرض إيقاع الارتباك فى صفوف المهاجمين! وقد صد الرجال هجوم الإوز والحمام بعصيهم الغليظة بسرعة وسهولة، عندئذ شرع سنوبول فى تطبيق خطة الهجوم (الثانية)؛ فقد خرج بنيامين وموريل وجميع الغنم يتصدرهما سنوبول، وقابلت الرجال بالنطاح والنخس والرفس من كل صوب وفى كل مكان ولكن الرجال قد تمكنوا أيضًا من صدها بعصيهم وأحذيتهم، وبصرخة من سنوبول متفق عليها كإشارة انسحاب فرت الحيوانات إلى فناء المزرعة!

وهلل الرجال بالنصر السهل السريع؛ فقد غرهم فرار الحيوانات أمامهم، وانطلقوا يتعقبونها بغير نظام، وكان ذلك ما يرمى إليه سنوبول تمامًا، وما كاد الرجال يدخلون إلى الفناء حتى خرجت عليهم فجأة الخيول الثلاث والبقرات الثلاث وبقية الخنازير التى كانت مختبئة بمكمنها فى حظيرة البقر، وقطعت عليهم خط الرجعة، وأعطى سنوبول إشارة الهجوم، وانطلق بنفسه هاجمًا على مستر جونز الذى لمحه فبادره برصاص بندقيته وأصابه بإصابة سطحية فى ظهره؛ كما أصابت رصاصته الطائشة نعجة فأردتها قتيلاً. وبدون تردد وبرغم إصابته قذف سنوبول بكل ثقله على قدمى جونز الذى انكفأ على وجهه فى الروث على حين صارت بندقيته بعيدًا عن يديه!

أما المنظر الذى كان رهيبًا حقًا فهو بوكسر الذى أقعى على رجليه الخلفيتين ضاربًا أعداءه برجليه الأماميتين ذواتى الحدوات الحديدية،

وقد أصابت ضربته الأولى جمجمة عامل إسطبل من مزرعة فوكس وود، فانطرح على وجهه أرضًا فى الوحل لا أثر فيه للحياة! وكان لهذا المنظر أثره على بعض الرجال الذين انتابهم الذعر، فألقوا بعصيهم وهم يحاولون الفرار، وما لبثت الحيوانات أن انطلقت تعدو فى إثرهم فى فناء المزرعة وهى تعضهم وترفسهم وتنطحهم وتدوس من يقع منهم على الأرض! وكان كل حيوان منها يمارس طريقته الخاصة فى الانتقام! وكذلك فقد قفز القط من فوق السور على كتفى رجل من رعاة البقر وأنشب أظفاره فى عنقه مما جعله يصرخ بشدة! وعند اللحظة الأولى التى استبان الرجال مخرجًا لهم من فناء المزرعة انطلقوا نحو البوابة يبغون النجاة إلى الطريق!

وهكذا انجلت المعركة بعد خمس دقائق عن فرار الرجال من حيث أتوا يشيعهم الوز (الإوز) بالعض فى أرجلهم! وبقى عامل الإسطبل الذى طرحه بوكسر فى الوحل منكفئًا على وجهه، على حين كان يحاول بوكسر أن يقلبه والرجل لا يبدى حراكًا، وبدا على بوكسر التأثير الشديد، وصاح بصوت متهدج: لقد مات ولم أكن أتعمد قتله! فقد نسيت أن فى رجلى حدوة حديدية! من سيصدق أننى لم أكن أتعمد قتله؟ وطيب سنوبول خاطره قائلاً: لا عليك من العواطف أيها الرفيق! فإن الحرب هى الحرب، ولن تجد فى البشر إنسانًا صالحًا إلا الموتى منهم! فأجابه بوكسر وعيناه مبللتان بالدموع: إننى لا أطيق القتل حتى لو كان آدميًا! ثم صاحت فجأة إحدى الحيوانات: أين مولى؟ وكانت مولى بالفعل متغيبة طوال المعركة وبعدها، وانشغلت الحيوانات بأمرها فربما أصابها أو اختطفها أحد من الرجال، وأخيرًا عثرت عليها الحيوانات وهى مختبئة فى مخزن الدريس وقد دفنت فيه رأسها من الذعر منذ أن سمعت دوى الرصاص! وحينما اطمأنت الحيوانات

لوجودها سليمة رجعت (ثانيًا) إلى الفناء، وكان العامل المطروح قد اختفى وقد انتهز فرصة غيابها، ففر بجلده بعد أن أفاق!

واجتمعت الحيوانات بعد ذلك وقد استبد بها الحماس، تحكى كل منها عن دورها فى المعركة؛ وبدون إعداد سابق احتفلت احتفالاً حماسيًا مرتجلاً بالانتصار، ورفعت العلم، واستمرت فى ترديد نشيد «يا وحوش إنجلترا» مرات متتاليات! كما أقامت جنازة مهيبة للنعجة القتيل، وقامت بدفنها، ثم زرعت على قبرها نبات الصبار! وألقى سنوبول على قبرها كلمة مقتضبة عن وجوب الفداء والتضحية فى سبيل الحق والعدالة!

واتفقت بالإجماع على توزيع النياشين الحربية للأبطال من مرتبة «بطل البهائم» من الطبقة الأولى تخليداً للانتصار، واتفق على منحه لسنوبول وبوكسر، وكانت الأوسمة عبارة عن حليات نحاسية كان مستر جونز يزين بها خيوله عند خروجه أيام الآحاد، كما اتفق على منح النعجة النافقة وسام «بطل البهائم» من الدرجة الثانية!

وبعد نقاش طويل اتفق على تسمية المعركة التى انتهت بالنصر «معركة زريبة البقر» تيمنًا (بالزريبة) التى اختبأت فيها، وباغتت منها عدوها! وقد وجدت بندقية مستر جونز فى الوحل، فقررت الحيوانات استعمالها كمدفع يطلق فى المناسبات؛ كما كان لديها ذخيرة من الخرطوش فى مخزن مستر جونز:

وقررت تثبيت البندقية تحت سارية العلم، وأن يحتفل بإطلاقها مرتين فى العام، الأولى فى ذكرى معركة (زريبة البقر) فى اليوم الثانى عشر من أكتوبر، والأخرى فى يوم عيد (منتصف الصيف) وهو يوم عيد ثورتها ضد جونز.

الفصل الخامس

أقبل الشتاء وأصبحت مولى مصدراً للمتاعب أكثر باطراد، فهى تتأخر عن مواعيد العمل كل صباح، وتنتحل الأعذار المختلفة: أحيانًا بدعوى تأخرها فى الاستيقاظ، وأحيانًا أخرى بدعوى أنها تعانى آلامًا شديدة برغم ما تتمتع به من شهية ممتازة عند الأكل! وكانت تختلق شتى المعاذير لتترك العمل، ثم تجرى إلى البركة تتطلع طويلاً فى صفحة المياه إلى صورتها! ثم سرت بين الحيوانات إشاعات خطيرة عن صلاتها المريبة!

وبينما كانت مولى تتطلع إلى جمال ذيلها وهى تمضغ الدريس - أقبلت عليها كلوفر وانتحت بها جانبًا وهى تنبئها أن لديها الخطير من الأمور: فقد شاهدتها من بعيد عند الصباح وهى تنظر نحو السور الذى يفصل مزرعة الحيوانات عن مزرعة فوكس وود؛ كما شاهدت أحد رجال بلكنجتون يتحدث إليها عبر هذا السور! وتساءلت كلوفر: ما معنى ذلك يا مولى؟ وهنا تلجلجت مولى قائلة: لم يكلمنى أحد! لم أكن هناك، هذا زور وبهتان! قالت هذا وهى تشب برأسها ثم تحفر الأرض بحافرها؛ وقاطعتها كلوفر: انظرى فى عينى، هل تقسمين أن هذا الرجل لم يكن يداعب أنفك؟ فردت مولى وهى تشيح بوجهها: إن هذا ليس صحيحًا؛ ثم انطلقت تعدو هاربة فى الحقل!

ولاح خاطر بذهن كلوفر فانطلقت فى صمت إلى مربط مولى وقلبت القش بحافرها، فوجدت تحته قطعًا من السكر ولفات من الشرائط المختلفة الألوان! وبعد ثلاثة أيام من هذا الحادث اختفت مولى من المزرعة، ثم علمت الحيوانات بعد ثلاثة أسابيع من هروبها بنبأ وجودها فى الجانب الآخر من بلدة ولنجدون؛ فقد رآها الحمام وهى مسرجة إلى عربة صغيرة حمراء خارج مبنى بلدية المدينة على حين كان رجل سمين أحمر الوجه يشبه عمال البلدية يداعب أنفها، ويطعمها بقطع السكر؛ كما كان عليها سرج أنيق ويزين معرفتها شريط أرجوانى، وكانت تبدو عليها معالم السعادة الغامرة! هكذا قال الحمام، وبعد ذلك لم يعد أحد بالمزرعة يتحدث بشيء عن مولى!

وفى يناير كان الطقس قاسيًا، وكانت الأرض مغطاة بطبقة صلبة من الجليد، ولم يعد بالحقل عمل يؤدَّى؛ مما أتاح للحيوانات فرص الالتقاء فى اجتماعات طويلة بالحظيرة الكبرى. وكانت تدور المناقشات حول برامج عمل الموسم المقبل، وكان من المسلم به بين الحيوانات أن تترك رسم سياسة إدارة المزرعة إلى الخنازير؛ لما تتمتع به من ذكاء، وكانت هذه السياسات تطرح بعد ذلك للتصويت وتقرر بأغلبية الآراء، وربما قدر لهذا الأسلوب النجاح لولا النزاع القائم والمستمر بين سنوبول ونابليون، إذ يتربص كل منهما بالآخر: فإذا ما اقترح أحدهما زراعة الشعير احتج الآخر بتفضيل زراعة القرطم! وإذا ما قال أحدهما - إن أرضًا معينة تصلح لزراعة الكرنب احتج الآخر بأنها لا تصلح إلا للبطاطس! وكان لكل منهما أتباعه الذين يناصرونه بحماس عند التصويت، وكانت لسنوبول دائمًا الغلبة عند الاقتراع نظرًا لبراعته الجدلية برغم ما يتمتع به نابليون من براعة فى التخطيط وحشد الأنصار، وكانت الأغنام تدين له بالزعامة؛ ولهذا فقد كان يوعز إليها

بمقاطعة سنوبول فى اللحظات الحاسمة بهتاف غريب «ذوات الأربع أخيار! وذوو الرجلين أشرار».

وفى حقيقة الأمر فإن سنوبول كان باحثًا مجتهدًا وقد درس باستفاضة أعدادًا من المجلات المتخصصة فى أصول الزراعة والتربية الحيوانية سبق أن وجدها فى مخلفات مستر جونز، وكانت لديه مشروعات عدة لتحسين الصرف وأصول التخزين، وتسميد الأراضى، وقد قام بوضع خطة معقدة تقوم بتنفيذها جميع الحيوانات بقضاء حاجتها من الروث مباشرة في الأوقات والأماكن الاستراتيجية من الحقل اختصاراً للجهد فى عمليات النقل. ولم يكن لنابليون خطط مثيلة إلا أنه اتهم سنوبول بالتعويق وحب الجدل وإضاعة الوقت!

وكان من أعصف الخلافات بين الخنزيرين ما دار بينهما من مناقشة بخصوص مشروع بناء طاحونة هوائية: ففى المرعى الممتد أشار سنوبول إلى بقعة معينة من الأرض قريبة من الربوة بعد أن اختبر تربتها، وزعم أنها المكان الأمثل لتشييد الطاحونة التى يمكن منها توليد الكهربا لإنارة الحظائر ولتدفئتها فى الشتاء، كما يمكن بها تركيب منشار كهربى لنشر الأخشاب، وكذلك مطحنة، وآلة لدرس الغلال، وكذلك إدخال آلات الحلب الكهربى، وهى أمور لم تكن الحيوانات قد سمعت بها من قبل؛ فهى تعيش بمزرعة عتيقة، كل ما بها من أدوات وآلات بدائى للغاية؛ ولذلك فقد استبدت بها الدهشة وهى تسمع لشرح سنوبول عن آلاته العجيبة التى ستقوم بالأعمال الشاقة بدلاً منها على حين ترعى هى فى سلام وتستغل أوقات فراغها فى الثقافة والتفكير!

وفى غضون أسابيع قليلة كان سنوبول قد انتهى من رسمه لتصميم الطاحونة مستعينًا فى التفاصيل الآلية (الميكانيكية) بثلاثة مراجع قديمة

بالمزرعة هى «ألف شىء يمكنك القيام به من منزلك، وكل رجل يستطيع أن يبنى بنفسه، وعلم الكهربا للمبتدئين» وقد اتخذ سنوبول مكتبًا خاصًا لتنفيذ رسومه فى حجرة صغيرة كانت تستعمل قديمًا كحضانة للبيض ذات أرضية خشبية، وكان سنوبول يخلو لنفسه لساعات طوال بين كتبه، وبين فتحة ظلفه إصبع من الطباشير يخطط به على الأرض وهو فى حالة انفعال شديد! وبمرور الأيام تحولت تلك الخطوط إلى رسوم معقدة ذات تروس وأعمدة تملأ نصف أرضية الحجرة!

ولقد كانت الحيوانات وكذلك الطيور تحضر للمرسم كل يوم مرة على الأقل تمعن فى الرسم وكان من منغصات حياتها أنها لا تستطيع أن تقرأ رموزه! أما نابليون فقد أحجم عن الحضور أو مشاركة الحيوانات فى اهتمامها؛ كما أعلن صراحة أنه يعارض فكرة إقامة الطاحونة. وذات يوم دخل إلى حجرة الرسم وتطلع متهكمًا برسوم التصميم، ودار حولها بتؤدة وتمعن، ثم توقف فى ركن الحجرة ناظرًا إليها (ثانية) بطرف عينه، ثم رفع فجأة إحدى رجليه وبال عليها، ثم خرج بعد ذلك دون أن ينبس بكلمة!

وكعادة الحيوانات فى الخلاف على الرأى فقد انقسمت على أنفسها ما بين مؤيد للبناء ومعارض، وخصوصًا أن سنوبول نفسه لم ينكر الصعوبات الجمة التى تعترض تنفيذ مشروعه؛ فإن على الحيوانات أن تحمل الأحجار إلى الموقع ثم تبنيها وفقًا للتصميم؛ كما أن هذه الطاحونة تحتاج إلى مراوح لكى تعمل، وكذلك ينبغى إيجاد الأسلاك الكهربية والمولد الكهربى (ولم يكن سنوبول قد ذكر الكيفية التى يمكنها بها الحصول على الأدوات الكهربية) وقد قطع سنوبول على نفسه العهد بالانتهاء من بناء الطاحونة فى ظرف عام واحد.

أما نابليون فقد أعرب عن رأى مخالف فى ضرورة ترك الكماليات من الأمور إلى الضروريات : كمضاعفة العمل لزيادة إنتاج الحاصلات الغذائية . وقد أبدى تخوفه إذا ما وجهت الحيوانات جهودها فى بناء الطاحونة أن ينخفض الإنتاج الغذائى ؛ ومن ثم تتعرض للمجاعة . وانقسمت الحيوانات إلى فريقين لكل منهما شعاره :

الفريق الأول يدعو لمشروع سنوبول الذى يحقق خفض عدد أيام العمل بالأسبوع إلى ثلاثة فقط ، ورفع المعارضون شعار نابليون فى العمل على زيادة الإنتاج . وكان الوحيد الذى بقى على الحياد فى هذه المهاترات هو الحمار بنيامين الذى كان يشك فى إمكان تحقيق البرنامج الأول من تشييد الطاحونة وما يتبعها من تخفيض ساعات العمل ، وكذلك البرنامج الآخر وإمكان زيادة الإنتاج وكان يقول : إن الحياة هى الحياة بكل ما فيها من شقاء سواء شيدت الطاحونة أو لم تشيد!

وبجانب المناقشات العنيفة عن الطاحونة فقد دارت بالمزرعة مناقشات مثيرة حول ضرورة تحصين المزرعة استعداداً لجولات أخرى قد يقوم بها الآدميون لإعادة مستر جونز إلى مزرعته (ثانيًا) للثأر من هزيمتهم فى معركة حظيرة البقر! وكانت الحيوانات ترجح أن يقوم الآدميون بمثل هذه المحاولات بعد أن انتشرت أخبار المعركة ؛ مما أوجد روحًا من المقاومة السلبية بين عامة حيوانات المملكة .

وكما هو الحال دائمًا فإن خلافًا قد نشب بين نابليون وسنوبول : فقد كان رأى الأول هو ضرورة جلب الأسلحة وتمرين الحيوانات على كيفية استعمالها على حين كان رأى سنوبول إرسال بعثات دعائية من الحمام ونشر مبادئ الثورة بين الحيوانات الأخرى فى جميع المزارع . واحتج نابليون بأن التسليح أمر حيوى ؛ وإذا ما عجزت الحيوانات عن الدفاع عن أنفسها فإن مصيرها المحتوم آت لا ريب!

وكانت الحيوانات تستمع للرأيين وإن كانت لا تستطيع أن تستقر على رأى منهما ؛ فقد كانت فى حالة انسجام وقتى مع كلا المتكلمين حتى ينتهيا من حديثهما .

وأخيراً حل اليوم الذى انتهى فيه سنوبول من إتمام تصميماته ، وفى صباح يوم الأحد اجتمعت الحيوانات بمبنى الحظيرة للتصويت على فكرة ابتداء العمل بالطاحونة ، وبينما كان سنوبول منهمكًا فى عرض أفكاره أخذت الأغنام تقاطعه من وقت لآخر ، ثم وقف نابليون معارضًا وشارحًا أن المشروع محض هراء ! وأنه ينصح زملاءه بالتصويت ضده ، ثم جلس (ثانيًا) فى مكانه بعد أن تكلم ثلاثين ثانية غير مكترث بما تركته من أثر ! وعندئذ قام سنوبول مدافعًا عن فكرته ، وحينما ابتدأت الأغنام فى مقاطعة حديثه صرخ فيها طالبًا الصمت وقد قدم عرضًا وافيًا لما يمكن أن تؤديه الطاحونة لرفع مستوى معيشة الحيوانات وتخفيف أعباء العمل فى عبارات رشيقة ، وأطلق العنان لخياله فى المستقبل الذى يحلم به بعد اكتمال البناء وقد استأثر بقلوب سامعيه حينما تكلم عن كيفية الاستعانة بالكهربا فى الدراس والطحين وإنارة الحظائر وتسخين المياه وتبريدها !

وفى هذه اللحظة الحاسمة وقف نابليون ملقيًا نظرة ذات مغزى على غريمه سنوبول ، وأطلق من حنجرته نداءً مبحوحًا بنغمة لم يألفها منه أحد من قبل ! وفى الحال سمع الحضور أصوات نباح مخيف أعقبه دخول تسعة كلاب شرسة إلى مبنى الحظيرة وفى أعناقها أطواق مطعمة بالنحاس ، واتجهت الكلاب إلى حيث يجلس سنوبول الذى فر مذعوراً وما كاد يفلت من أسنانها بقفزة سريعة ! وفى لحظة كان سنوبول يولى الأدبار والكلاب فى أثره على حين تجمعت الحيوانات عند الباب

لمشاهدة مجريات الأحداث وهى فى حالة شديدة من الرعب، وكان سنوبول يوالى الفرار عبر المراعى متجهًا إلى الطريق العام فى أقصى سرعة يستطيعها خنزير، والكلاب فى أعقابه، وزلقت رجله فوقع، ثم نهض مواليًا العدو، وقد كاد كلب منها يطبق فكيه على ذيله، ثم ضاعف سنوبول من جريه ودلف عبر حفرة قريبة من سور المزرعة إلى الخارج، وكان هذا المشهد هو آخر عهد الحيوانات به!

وفى صمت ورعب زحفت الحيوانات عائدة إلى أماكنها بحظيرة الاجتماع وبعد فترة وجيزة عادت الكلاب (ثانيًا) ولم يدر بخلد الحيوانات من أين وردت هذه الكلاب؟ ثم أسعفتها ذاكرتها بأن هذه الكلاب إنما هى بعينها الجراء التى ولدتها جيسى وبلوبل والتى عزلها نابليون وأخذ على عاتقه مسئولية تربيتها! وبرغم أن هذه الكلاب لم تكن قد بلغت بعد تمام نموها فإنها كانت فى ضخامة الذئاب ووحشيتها، واقتربت الكلاب من نابليون وهى تهز ذيلها له، كما اعتادت أمهاتها أن تفعل فى حضور مستر جونز!

ثم اعتلى نابليون كومة من القش فى المكان المرتفع نفسه من القاعة الذى اعتلاه ماجور من قبل تتبعه كلابه، وأعلن أنه منذ هذه اللحظة فإنه يأمر بتوقف اجتماعات يوم الأحد الصباحية؛ فهى فى رأيه إضاعة للوقت من غير جدوى؛ وذكر أنه بخصوص المستقبل فإن شتى المشاكل المتعلقة بالعمل فى الحقل ستكون من اختصاص لجنة من الخنازير تحت رياسته لدراستها فى اجتماعات مغلقة على أن تبلغها فيما بعد.

وأصبح النظام الجديد هو أن تجتمع الحيوانات فى صباح أيام الآحاد لتحية العلم وترديد نشيد «يا وحوش إنجلترا»، ثم تتلى عليها الأوامر الصادرة بخصوص عمل الأسبوع كله بلا مناقشات.

وصاحب الرهبة والذهول التى تملكت الحيوانات بعد التخلص من سنوبل أشد الاستياء لهذه القرارات وربما اعترض بعضها، وقد كانوا أحرياء أن يعترضوا على هذه القرارات لو تهيأ لهم صياغة الاعتراض، حتى بوكسر نفسه؛ فقد أبدى اكتئابه وامتعاضه بأن أرجع أذنيه للخلف، وهز رأسه طويلاً يمينًا ويسارًا، وحاول أن يفصح عن أفكاره، ولكنه لم يجد في النهاية ما يقوله، وبرغم ذلك فإن بعض الخنازير كانت أكثر إفصاحًا عن غضبها؛ فقد صدرت عن أربعة منها صيحات الاستياء وقد وقفت على أرجلها الخلفية، وحينما ابتدأت فى عرض وجهة نظرها تحركت الكلاب التى كانت تجلس حول نابليون وصدرت عنها زمجرة عميقة، فسكتت الخنازير فى الحال، واستسلمت للصمت، ثم انطلقت الأغنام فى ثغاء عال تردد شعارها المختار «ذوات الأربع أخيار! ذوو الرجلين أشرار»! ربع ساعة؛ مما استحالت معه أية محاولة أخرى للاحتجاج!

وبعد انفضاض الاجتماع توجه سكويلر إلى الحيوانات؛ ليشرح لها الوضع الجديد مبتدئًا كلامه بأنه على ثقة أن رفيقاته من الحيوانات تفهم تمامًا مدى تضحية الرفيق نابليون بقبوله الأعباء الإضافية التى لا بد أن تقع على عاتقه، وقال لها: لا تتصوروا أيها الرفاق أن أعباء الزعامة سهلة أو هينة أو أنها من الأمور التى تبعث على السعادة! إن الرفيق نابليون هو أول من يؤمن بأن الحيوانات كلها سواسية، وكان بوده أن يترك لها حرية اتخاذ القرارات إلا أنه يخشى عليها مغبة اتخاذ الحلول الخاطئة! وتساءل سكويلر: كيف تكون الحال لو أنكم اتبعتم سنوبول وأحلامه المضللة، وهو كما تعلمون لا يزيد عن كونه مجرمًا؟ وقاطعته إحداها بأن سنوبول قد أبلى بلاءً حسنًا فى معركة «زريبة البقر» فرد عليها بأن الشجاعة وحدها لا تعنى شيئًا، فإن صفات أخرى

كالإخلاص والطاعة هى أكثر أهمية؛ واستمر فى حديثه فقال: أما بخصوص المعركة فسيحين الوقت الذى فيه تعرفون أن كثيراً من المبالغات قد نسجها الخيال حول دور سنوبول! إن النظام أيها الرفاق بل النظام الحديدى هو سندنا؛ فإن أعداءنا يتربصون بنا، وعند الكبوة الأولى من جانبنا فإنهم سيطبقون علينا، أيها الرفاق، هل تقبلون عودة مستر جونز (ثانيًا)؟ ومن غير شك فلم تكن الحيوانات لترغب فى ذلك، وقد أفحمتها حجج سكويلر وأنه لا بأس من التضحية بندوات يوم الأحد إذا ما كان فى الاجتماعات ما يهدد بعودة جونز وعصابته!

وعندئذ تكلم بوكسر وقال: إذا ما كان الرفيق نابليون قد بعثك بهذه الحجة فلا شك أنه صادق، ومنذ ذلك التاريخ فإن بوكسر اتخذ لنفسه شعار: «نابليون دائمًا على حق» بجانب شعاره الخاص «سأعمل أكثر!».

ثم أقبل الربيع وابتدأت الحيوانات فى حرث الأرض على حين كان المرسم الذى سبق أن خصصه سنوبول لنفسه ما زال مغلقًا، وقد نسيت الحيوانات كل ما يتعلق بمشروع الطاحونة بعد أن ظنت أن تلك الرسوم قد محيت من الأرض. وفى صباح يوم أحد كانت الحيوانات تجتمع فى الحظيرة الكبيرة؛ لتستمع إلى الأوامر الأسبوعية، وقد أصبح برنامج ذلك اليوم يُبتدأ برفع العلم، ثم المرور فى طابور تنحنى فيه الحيوانات أمام جمجمة ماجور العجوز التى كانت قد أخرجتها من قبره، وثبتت على قاعدة، ثم وضعت تحت العلم بجوار البندقية، ثم تدخل بعد ذلك إلى الحظيرة الكبرى، ولم تعد الحيوانات تخلو بعضها إلى بعض فى اجتماعات تتبادل فيها الرأى؛ كما كان يحدث سابقًا؛ فقد كان نابليون يتصدر المجلس وبجواره سكويلر فى جانب ومينيمس وهو خنزير

ضخم فى الجانب الآخر، كانت له موهبة ممتازة فى تأليف الأغانى والأشعار وتحيط بالثلاثة الكلاب التسعة على هيئة نصف دائرة، على حين تجلس بقية الخنازير خلفها، أما بقية الحيوانات الأخرى فقد كانت تجلس فى مواجهة نابليون الذى كان يتلو عليها الأوامر الأسبوعية فى أسلوب بلاغات عسكرية! ثم ينفض الاجتماع بعد ترديد نشيد «يا وحوش إنجلترا».

وبعد ثلاثة أسابيع من طرد سنوبول فوجئت الحيوانات ببلاغ من نابليون فى صباح يوم الأحد ينبئها فيه بوجوب الابتداء فى بناء الطاحونة بدون إبداء الأسباب، وقد حذرها من ضخامة العمل الذى ستقدم عليه ومن جوب التضحية فى سبيله بما فى ذلك احتمال تخفيض وجباتها الغذائية! وذكر أن لجنة خاصة من الخنازير قد قبعت فى الأسابيع الثلاثة الأخيرة لإعداد المشروع الجديد بعد إدخال كثير من التعديلات والتحسينات عليه؛ مما يحتمل معه امتداد فترة التنفيذ إلى عامين.

وفى المساء جمع سكويلر الحيوانات، وذكر لها أنه فى حقيقة الأمر لم يكن الرفيق نابليون معارضًا بتاتًا للمشروع، بل إن العكس هو الصحيح، وإن فكرة إنشاء الطاحونة كانت من وحيه هو، كما أذاع أن الرسوم الخاصة بها كانت قد سرقت من بين أوراقه، وأن المشروع من بدايته إلى منتهاه إنما هو فى الحقيقة من ابتكاره! وهنا قاطعته إحداها بقولها: إذا كان الأمر كذلك ففيم إذن كانت كل معارضة نابليون للمشروع؟ فحدج سكويلر بخبث وقال: إنكم لا تعلمون بعد أيها الرفاق مدى دهاء الزعيم بكل بساطة! لقد كان نابليون يتصنع مثل هذه المعارضة؛ ليتخلص بها من سنوبول ومن تأثيره السيئ وأخلاقه

الذميمة! إن ما قام به نابليون هو ما يسمى بالمناورات! «تاكتيك»، ثم قال سكويلر: والآن فقد حان وقت العمل بدون إبطاء، وكان سكويلر منفعلاً ويميل بجسمه من جانب إلى آخر، ويهز ذيله بعصبية، ويطلق ضحكات صاخبة!

ومع أن الحيوانات لم تفهم ماذا كان يعنى سكويلر بلفظ مناورات «تاكتيك» ـ فإن طريقته فى الإلقاء وما حوله من الكلاب الثلاثة التى كانت تصحبه ـ لم تدع أمامها من سبيل إلا الاقتناع!

الفصل السادس

كانت الحيوانات تعمل كالرقيق طوال العام، ولكنها كانت سعيدة، برغم ذلك لا تحجم عن التضحية وبذل المزيد من جهودها؛ فهى موقنة أن هذه التضحيات كانت من أجلها ومن أجل ذريتها وليست نهبًا للآدميين الكسالى المستغلين! وخلال فصلى الربيع والصيف كانت تعمل ستين ساعة فى الأسبوع، وفى أغسطس أعلن نابليون عن وجوب العمل بعد ظهر أيام الآحاد أيضًا على سبيل التطوع وبمحض الاختيار الحر!

غير أن الحيوانات التى لا تريد أن تتطوع لن يقدم لها إلا نصف وجباتها المعتادة من الطعام! ومع كل هذا العمل المستمر فإن الحيوانات قد عجزت عن الانتهاء من أداء جميع المهام الملقاة على عاتقها والتى ينبغى الانتهاء منها قبل حلول الشتاء، ومنها حقلان حان شغلهما بالخضراوات فى مطلع الصيف إلا أنها كانت قد تأخرت عن ذلك نظراً لعدم حرثهما فى الوقت المناسب، ولما كان محصول العام الماضى أيضًا أقل من سابقه فإنه لم يكن من العسير التنبؤ بشتاء شديد القسوة؛ كما اعترضت الحيوانات صعوبات لم تكن منتظرة فى بناء الطاحونة برغم توافر المواد الأولية اللازمة للبناء فى المزرعة كالأحجار والرمل والجير إلا

أنه كان يتعين عليها تحطيم الأحجار إلى أحجام مناسبة للبناء ثم نقلها إلى موقع العمل، ولم يكن أمامها إلا استعمال المعاول والعتل وهو مالا يمكنها استخدامه نظراً لما يقتضيه ذلك من ضرورة الوقوف على أرجلها الخلفية والإمساك بالآلات بالأرجل الأمامية كما يفعل البشر.

وأخيراً اهتدت الحيوانات إلى فكرة صائبة لتحطيم الأحجار باستخدام خاصية الجاذبية الأرضية: وذلك برفع الأحجار الضخمة من المحجر الذى فى أسفل التل بالحبال تتعاون فى ذلك الحيوانات من بقر وخيل وغنم وربما ساعدتها الخنازير فى أوقات الأزمات، وكانت تربط الكتل الضخمة من الأحجار بحبال، ثم تجرها إلى أعلى التل ببطء حتى إذا ما بلغت القمة عادت، فتركت الحبال لتسقط الأحجار وهى تتهشم فى سقوطها إلى السفح، ثم تقوم بجمع هذه الأحجار الصغيرة ونقلها كلٌ وفق طاقته: فالخيل كانت تجر العربة بعد تحميلها على حين كانت الغنم تحمل ما تطيقه منها؛ كما كان بنيامين وموريل يستخدمان عربة الأطفال فى ذلك الغرض، وينقلان الأحجار إلى موقع البناء.

وفى أواخر الصيف كان قد تجمع من الأحجار ما يكفى بناء الطاحونة، وقد شرعت فى ذلك تحت إشراف الخنازير! ولم يكن من الممكن إتمام هذا العمل الكبير الشاق لولا معونة بوكسر الذى كانت قوته منفرداً تقابل قوة بقية حيوانات المزرعة مجتمعة! وكان بوكسر يساهم بالنصيب الأكبر فى رفع الكتل الضخمة إلى أعلى بالحبال يشدها وهو يصعد وتتلاحق أنفاسه بين إعجاب رفاته، وطالما نصحته كلوفر بأن يحفظ على نفسه عافيته وألا يسرف فى العمل المضنى العنيف، ولكن بوكسر كان يصم أذنيه مردداً شعاريه المختارين «سأعمل أكثر»

و«الحق دائمًا في جانب نابليون» وكأنما كانت الشعارات هي كل ما يملكه من إجابة . ولقد اتفق مع ديك المزرعة أن يوقظه قبل بداية ساعات العمل المقررة بثلاثة أرباع الساعة ، وكان يعمل فى فترات الراحة القصيرة التى كانت تتخلل ساعات العمل ويجر الأحجار وحده ، ويحملها إلى الطاحونة . وبرغم هذا الإجهاد الشديد فإن حال الحيوانات لم تكن أسوأ منها فى عهد جونز ؛ كما أن وجباتها بعد إنقاصها لم تكن أيضًا أقل من المقررات القديمة! وكانت سعيدة بعملها الذى سيعود عليها بالخير وليس لإطعام حفنة من الآدميين المتكبرين الذين لا يعملون!

ولقد كان إحساسها بالكرامة يخفف عنها العناء وما تلاقيه من الشتاء القارس ؛ كما كان شعورها بتملك المزرعة وما عليها يمنعها من سرقة المحصول وقد وفر ذلك عليها كثيراً من الوقت الذى كان يضيع فى بناء أسيجة حول الحقول لحفظها وكذلك فإن الحيوانات كانت أكثر قدرة من الآدميين فى تنقية الحشيش الضار من الأرض!

وعند نهاية الصيف تبين للحيوانات أن أمامها الكثير من الصعاب بخلاف احتمال نقص المحصول ، ونتيجة لذلك فقد باتت وهى تتوقع قضاء شتاء غاية فى القسوة ، وقد تبين أيضًا أن كثيراً من متطلبات الزراعة لم يكن متوافراً لها كالبذور والمخصبات الكيمياوية كما كان العمل بالمزرعة يحتاج للبترول والمسامير والحبال ، وكذلك (بسكويت) الكلاب وبعض الأدوات الأخرى ، وكذلك كان عليها الحصول على مولد كهربى للطاحونة ، ولم تكن الحيوانات قد وجدت حلاً لإيجاد هذه المتطلبات الملحة .

وفى صباح يوم أحد اجتمعت الحيوانات بالحظيرة الكبرى كعادتها

لتلقى الأوامر الأسبوعية وإذا بنابليون يعلن عليها قراره فى رسم سياسة جديدة من شأنها إقامة علاقات تبادل بينها وبين المزارع المجاورة، يمكنها بموجبها الحصول على ما ينقصها! وقد أوضح لها أن علاقة التبادل هذه بعيدة فى مضمونها وأغراضها عن نطاق التجارة؛ كما أكد لها أيضًا أن كل ما تحتاج إليه الطاحونة له صفة الأولوية لا بد أن يقدم على أى شىء آخر! ولذلك فقد أعلن أنه فى سبيله إلى عقد صفقات بيع دريس وجزء من محصول القمح، وكذلك إذا ما استدعى الأمر فإنه قد يضطر لبيع كمية من البيض فى سوق ويلنجدون.

وأعلن نابليون أن الدجاج سيرحب بمثل هذا القرار على ما فيه من تضحية من جانبه مساهمة منه فى إكمال تشييد الطاحونة، ومرة أخرى اجتاح الحيوانات شعور بعدم الارتياح، ألم تتفق من قبل فيما بينها على حظر التعامل مع البشر أو الشراء بالنقود؟ ألم تقرر الحيوانات بالإجماع مثل هذه الأسس عقب الانقلاب وطرد مستر جونز؟ إن مثل هذه القرارات ما زالت عالقة بالذاكرة، أو ربما خيل إليها أن شيئًا من هذا القبيل ما زال عالقًا بالذاكرة! وحينما وقفت الخنازير الأربعة التى تمثل المعارضة على استحياء فسرعان ما عادت (ثانيًا) إلى أماكنها بعد أن وصل إلى سمعها نباح به نبرة التهديد!

وابتدأت الغنم فى الثغاء بجلبة عالية «ذوات الأربع أخيار! وذوو القدمين أشرار» وبذلك فقد هدأت الجلسة إلى حين وخفت حدة التوتر التى تميز بها الاجتماع، ورفع نابليون رجله الأمامية طالبًا الالتزام بالسكون، وأعلن أنه بالفعل قد اتخذ جميع الترتيبات اللازمة لإدخال قراراته المعلنة إلى حيز التنفيذ! وأنه سيأخذ على عاتقه مهمة الاتصالات مع البشر، وبذلك فإنه لا يجد داعيا لقيام أى اتصالات بين

الحيوانات وبين الآدميين؛ كما قرر أنه عقد اتفاقًا بالفعل مع أحد وسطاء ويلنجدون ويدعى مستر ويمبر، وأن هذا الوكيل سيحضر لمزرعة الحيوانات فى صباح كل يوم اثنين لتنفيذ التعليمات، وعندئذ أنهى نابليون حديثه بهتافه المعهود «فلتحى مزرعة الحيوانات»، وبعد أن رددت الحيوانات نشيد «يا وحوش إنجلترا» انفض الاجتماع.

وبعدئذ قام سكويلر بجولة فى المزرعة بين الحيوانات يهدئ من نفوسها وهو يؤكد لها أنه لم يتخذ من قبل أى قرار سابق أو حتى مشروع قرار يقضى بعدم التعامل مع الآدميين، أو يحظر التبادل النقدى، وأن الزعم بغير هذا محض خيال أو ربما كان من الافتراءات التى روجها سنوبول! ثم وجه سكويلر حديثه للمتشككين وسألهم: هل يتذكرون بالفعل شيئًا عن هذا القرار أو أنها كانت أضغاث أحلام؟ وسألهم كذلك: هل لديهم محضر مكتوب دونت فيه مثل هذه القرارات؟ ولما لم يكن لدى الحيوانات بالفعل أى قرارات مكتوبة بهذا المعنى فإن حديث سكويلر لا بد أن يكون صحيحًا. وطبقًا للاتفاق المعلن فإن مستر ويمبر كان يزور المزرعة فى صباح الاثنين، وهو رجل قصير القامة ذو سوالف طويلة، يمثل المظهر التقليدى للسماسرة بكل ما فيهم من خبث وبعد نظر، وقد أدرك بدهائه أن المزرعة التى تتملكها الحيوانات لا بد أن تحتاج بشدة إلى سمسار وأن أرباحه منها لابد أن تكون مجزية للغاية.

وكانت الحيوانات ترقبه عند مجيئه وذهابه بشىء من التخوف، وكانت تتجنبه كلما أمكن ذلك، إلا أن منظر نابليون حينما كان يلقى أوامره بعظمة على مستر ويمبر الذى كان يقف وهو يستمع إليه باحترام كان من العوامل التى خففت من شعور الحيوانات بالاستياء من التعامل مع البشر، كما كانت تشعر بالفخر إزاء هذه المواقف.

ولم تعد العلاقات بين البشر ومزرعة الحيوانات متوترة كعهدها السابق، وخفت حدة العداوة الشديدة بينهما وخصوصًا أن الآدميين موقنين أن مصير المزرعة لا بد أن ينتهى إلى الإفلاس بدون أى تدخل من جانبهم وأن مشروع الطاحونة سينتهى بالفشل الأكيد : إما بانهيار بنائها أو بالعجز عن إدارتها واستغلالها! وبرغم ذلك فقد كان الرجال يعجبون من كيفية إدارة الحيوانات لمزرعتها، وكان من مظاهر هذا التقدير أن أصبح الناس يطلقون على المزرعة اسم (مزرعة الحيوانات) بدلاً من اسمها القديم «مانور».

وكذلك فقد كفوا عن تأييدهم لمستر جونز الذى استسلم للأمر الواقع، وهاجر يائسًا إلى مكان آخر.

وفيما عدا زيارات مستر ويمبر فلم يكن بين مزرعة الحيوانات والعالم الخارجى أى اتصال آخر إلا أن بعض الإشاعات كانت تروج احتمال قيام صفقات بين نابليون وبين جاريه مستر بلكنجتون صاحب مزرعة فوكس وود، وفردريك صاحب مزرعة بنشفيلد.

وفى ذلك الوقت انتقلت الخنازير فجأة لتسكن منزل مستر جونز، وتذكرت الحيوانات عندئذ قراراً سابقًا كان قد اتخذ يتعارض هو وهذا الإجراء، وتصدى لها سكويلر كالعادة لإقناعها ذاكراً لها أن الخنازير تمثل العقل المدبر بالمزرعة، فلا بد إذن من أن يُهيَّأ لها مقر هادئ للعمل! وكذلك فإن كرامة الزعامة تقتضى أن يسكن نابليون منزلاً لائقًا به بدلاً من (الزريبة) (وكان لقب نابليون فى ذلك الحين هو الزعيم!».

وبرغم وجاهة هذا التفسير فإن بعض الحيوانات قد أزعجها ما تردد من أن الخنازير أصبحت تأكل فى المطبخ، وتجلس فى حجرة

الاستقبال، بل الأدهى من ذلك أنها تنام على الأسرة! ومع أن بوكسر قد قابل هذه التخرصات بشعاره المألوف «نابليون دائمًا على حق» فإن كلوفر كانت تظن أنها ما زالت تتذكر أن فى نصوص الوصايا السبع المتفق عليها ما يتعارض هو ونوم الخنازير على السرير! ولذلك فقد ذهبت إلى الفناء محاولة أن تقرأ ما دون على حائط الحظيرة الكبرى من وصايا، ولما أعجزتها المقدرة على القراءة استعانت بموريل، وطلبت منها قراءة الوصية الرابعة التى تحظر النوم على الأسرة، وبصعوبة استطاعت موريل قراءة ما يأتى: غير مسموح للحيوانات بالنوم على الأسرة بالملاءات!

ولدهشة كلوفر فإنها لم تكن لتتذكر أن الوصية الرابعة كانت تحتوى على لفظ الملاءات، ومع ذلك فما دامت هذه الكلمة مدونة على الحائط تدوينًا فلا بد أن تكون صحيحة، وكان سكويلر يمر فى هذه اللحظة يتبعه كلبان أو ثلاثة، فاستطاع أن يوضح لها الأمور بجلاء قائلاً: ربما قد سمعتم أيها الرفاق أن الخنازير تنام على الأسرة بالمنزل! وماذا يعيبهم فى هذا؟ ربما تتخيلون أن الوصايا السبع تنص على عدم النوم بالسرير! ثم تساءل عن معنى كلمة السرير، واستطرد أن السرير بكل بساطة مكان معد للنوم، وكذلك فإن كومة القش التى تنامون عليها بالمثل مكان معد للنوم ولا إثم فى ذلك، ولكن المنع جاء قبل استعمال الملاءات التى يغطى بها السرير، وهو إثم جاءت به العقلية الإنسانية الشريرة! ولذلك فقد نزعت الخنازير الملاءات عن الأسرة قبل أن تنام عليها، وأبقت البطاطين فقط، وإقراراً للحق فإن النوم على السرير مريح جداً، وهو ما تحتاج إليه الخنازير للراحة والتفكير وتدبير أمور المزرعة! ثم تساءل: وما أظن أحداً منكم أيها الرفاق يبخل بالراحة علينا! من منكم يفضل عودة مستر جونز؟ وقد اقتنعت الحيوانات

بوجهات نظر سكويلر وسلامتها، ولم تعد بعد ذلك إلى الحديث عن نوم الخنازير بالأسرة، ثم أعلن بعد ذلك على الحيوانات أن الخنازير ستستيقظ بعد مواعيد عمل المزرعة بساعة فى الصباح، ولم يعترض على ذلك القرار أحد!

وبحلول الخريف فإن الحيوانات كانت سعيدة برغم ما حل بها من عناء العمل ونقص الغذاء بعد أن بيع جزء من الدريس والقمح؛ مما ينذر بشتاء صعب وقاس! على أنه فى سبيل تشييد الطاحونة فإنها كانت على استعداد لاحتمال كل المصاعب، وكانت قد فرغت من بناء نصفها تقريبًا، وقد كانت تداوم على العمل بها منتهزة فرصة اعتدال الطقس وجفاف الجو وفراغها بعد أن انتهت من جمع المحصول. وكان بوكسر ينتهز فرصة طلوع القمر ليتطوع بالعمل ساعة أو اثنتين فى ضوئه. ومع تقدم البناء فإن الحيوانات كانت تطوف به فى أثناء فترات راحتها وهى معجبة بضخامته واستوائه وهى لا تكاد تصدق عينها وكان الوحيد الذى يشاركها فى هذا الحماس هو بنيامين الذى كان يردد دون ما سبب: (إن الحمير تعيش طويلاً!).

ثم أقبل نوفمبر برياحه الجنوبية الغربية الهوجاء، وسقطت الأمطار، فتوقف العمل بالطاحونة، وفى ليلة عاصفة هزت الرياح فيها منزل المزرعة هزًا، وأسقطت بعض قطع القراميد عن سقفه، وعند منتصف الليل استيقظ الدجاج على صوت فرقعة شديدة تدوى من بعيد، وفى الصباح حينما استيقظت الحيوانات تبين لها أن سارية العلم قد تحطمت وأن شجرة الدردار قد اجتثت من فوق الأرض، وبينما هى تشاهد هذه المناظر إذا بها تسمع صيحات يائسة تنطلق من بعض الحيوانات وقد اكتشفت أن مبنى الطاحونة قد تحول إلى أنقاض! وهرعت إلى

الطاحونة يسبقها نابليون مهرولاً وهو الخنزير المبجل الذى اعتاد أن يمشى الهوينى. ووقفت الحيوانات واجمة أمام ثمرة جهدها الضائع وآمالها التى تبددت كالحجارة المتناثرة أمامها والتى تعبت فى نقلها وبنائها أى تعب!

وكان نابليون يغدو ويروح أمام الأطلال وهو يخفض أنفه إلى الأرض ويشم ثم يعود ليشم (ثانيًا) باهتمام بالغ، وذيله يتحرك من جانب لآخر وهو منتصب إلى أعلى، وكانت هذه الحركات من اللوازم التى تصاحبه عند التفكير العميق! وفجأة كف عن هذه التحركات العصبية السريعة؛ وبدا على وجهه ما يوحى باكتشافه السر الرهيب! ثم تكلم فقال بهدوء: أيها الرفاق، هل تعلمون من وراء هذا الحادث؟ وهل تعلمون عدوكم الذى تسربل بالليل ليهدم الطاحونة؟

ثم صرخ بصوت كالرعد: إنه هو الخائن الأثيم الذى قام بهذه الجريمة الشنعاء؛ لينتقم لنفسه من المهانة التى لحقته عند طرده من المزرعة! ثم استطرد نابليون قائلاً: أيها الرفاق، إنه منذ الساعة فإننى قد أصدرت عقوبة الإعدام على سنوبول، فلمن يأتى به ميتًا أيها الأبطال «وسام البهائم» من الدرجة الثانية ونصف بوشل من القمح! بل بوشل كامل لمن يأتى به حيًا!

وقد صعقت الحيوانات وهى تعجب كيف أن سنوبول قد استطاع أن يجلل يديه بمثل هذه الخيانة؟ وقد علت منها صيحات الاستهجان، وتركت لخيالها العنان: ماذا ستفعل لو أنها استطاعت أن تمسك به؟

وبعد قليل من البحث وجدت آثار أقدام خنزير عند الربوة تتجه إلى سور المزرعة، ثم تختفى عند الفجوة التى سبق أن سقط فيها سنوبول يوم هربه! ولقد شم نابليون هذه الآثار وعاد ليؤكد أنها لسنوبول الذى

يرجح اختباؤه بمزرعة فوكس وود! وأعلن نابليون ضرورة الابتداء في إعادة تشييد الطاحونة في الحال، وصاح في الحيوانات قائلاً: أيها الرفاق، ليس لدينا وقت نضيعه؛ فإن العمل ينتظرنا، وسنعمل وسنبني تحت كل الظروف والأوقات وفي كل الأجواء: سطعت الشمس أو أمطرت السماء! إننا سنلقي درسًا على عدونا، فإلى الأمام أيها الرفاق، ثم ختم نداءه بهتاف: فلتحي الطاحونة! ولتحي مزرعة الحيوانات!

الفصل السابع

كان شتاءً قارسًا ذا جو عاصف، وقد سقط الثلج، واستمرت هذه الحال حتى شهر فبراير، وكانت الحيوانات تبذل كل طاقتها لبناء الطاحونة فى موعدها المعلن، وهى تدرك أن العالم الخارجى يتابع أنباءها، وأن فشلها سيكون مدعاة لشماتة أعدائها! ولم يكن الآدميون ليصدقوا المؤامرة المزعومة، بل يعزون أسباب تهدم البناء إلى رقة غلظ الجدران!

وبرغم أن الحيوانات كانت تؤمن بما لُقنته عن مؤامرة سنوبول؛ فإنها عند إعادة البناء قد أمرت بتعريض غلظ المبانى بحيث يصل إلى ثلاثة أقدام بدلاً من الغلظ القديم الذى سبق أن بنيت به وكان ١٨ بوصة فقط، وكان ذلك يعنى المزيد من الحجارة والجهد.

وقد اضطرت فى بعض الأوقات إلى التوقف عن العمل حينما غطى الثلج أرض المحجر، وقد استأنفت عملها حينما توقف هبوط الثلج، وأصبح الجو جافًا.

وفى ظل هذه الظروف القاسية والروح المعنوية المنخفضة؛ فقد كان لبوكسر ومعه كلوفر أكبر الأثر فى رفع الروح المعنوية بضرب المثل الطيب للآخرين فى العمل والتضحية؛ كما كان سكويلر يلقى على

الحيوانات الخطب الرنانة عن وجوب التضحية فى سبيل الواجب، إلا أن هذه الخطب الكثيرة لم تكن فى قوة تأثير بوكسر حينما كان يعمل بنفسه، ويضرب أحسن المثل فى التضحية مردداً شعاره المختار: «سأعمل أكثر!».

وفى يناير عانت المزرعة من نقص الغذاء؛ ولذلك فقد خفضت وجبات الحنطة، واستعيض عنها بزيادة مقررات البطاطس، إلا أن الحيوانات اكتشفت أن الجزء الأكبر من محصول البطاطس قد أصابه الصقيع بالتلف فى مخزنه لتركه بدون الغطاء اللازم من القش! وقد تميعت البطاطس وفقدت لونها وأصبحت إلا القليل منها غير قابلة للأكل؛ وبذلك فلم يكن أمام الحيوانات الجائعة إلا التبن والبنجر تأكله لأيام طويلة؛ حتى أصبح شبح المجاعة يتهددها!

وحتى لا يشمت أعداؤها فى الخارج ويشيعوا عنها شتى الأكاذيب بعد سقوط الطاحونة فقد عمدت الحيوانات إلى إخفاء حقيقة أمرها بشتى وسائل التعمية!

وكان الناس فى ذلك الوقت يرددون أن الحيوانات قد أشرفت على الموت جوعًا، ودب فيها المرض، وعادت إلى سيرتها الأولى من التوحش، وأكل بعضها بعضًا أحياءً وقتل الصغار منها! وأدرك نابليون خطورة مثل هذه الشائعات، ولذلك فقد سخر ويمبر فى إطلاق الإشاعات المضادة.

وبعد أن كانت اتصالات الحيوانات محدودة ـ فقد وضع نابليون فى طريقه بعض الحيوانات التى تتمتع بكامل صحتها وأغلبها من الغنم، حتى تلقى على مسامع الرجل مدى سعادتها وما تحظى به من عناية ومن وجبات كافية.

وكذلك فقد عمد نابليون إلى ملء البراميل الفارغة المخصصة لتخزين الغلال بالرمال، ثم أمر بتغطية سطحها القريب بالغلال؛ كما عهد إلى اختلاق سبب لإدخال مستر ويمبر بنفسه فى المخازن، ورأى ما ظنه ذخيرة كافية فيها، وردد بعد ذلك مشاهداته إلى الناس.

غير أنه فى نهاية شهر يناير أصبح من المحتم على الحيوانات البحث عن غلال تشتريها من الخارج.

وفى هذه الأثناء كان نابليون نادراً ما يختلط بالحيوانات الأخرى؛ فهو يقضى كل وقته داخل المزرعة، تحرس كلابه التسعة مداخل بيته، فإذا ما خرج من المنزل أحاطت به ستة من الكلاب فى موكب مشهود! وإذا ما جرؤ حيوان على الاقتراب منه نبحته الكلاب، كما أصبح لا يحفل بالمثول فى اجتماعات أيام الآحاد، وأصبح ينيب عنه أحد الخنازير، وخصوصًا سكويلر فى إلقاء أوامره الخاصة بعمل الأسبوع فى الحظيرة.

وفى صباح يوم من أيام الآحاد أذاع سكويلر أمرًا إلى الدجاج أن يسلم البيض للإدارة؛ لأن نابليون عقد صفقة مع ويمبر يتم بمقتضاها بيع أربعمائة بيضة أسبوعيًا، وذلك فى مقابل شراء مواد غذائية لسد العجز فيها حتى موسم الصيف.

وبرغم أن نابليون كان قد صرح فى اجتماع سابق أنه ربما اضطر إلى اتباع ذلك الإجراء فإن الدجاج لم يكن ليصدق أن بيضه سيسلم ليباع فى السوق! وقد صرخ الدجاج محتجًا عند سماعه الخبر، وكان الدجاج فى ذلك الوقت يستعد لتفريخ الكتاكيت عندما يقبل الربيع.

وللمرة الأولى بعد طرد مستر جونز كانت المزرعة على شفا القيام

بانقلاب آخر، وأزمع الدجاج العصيان تقوده ثلاث دجاجات سوداء، وقد عقد العزم على عرقلة الأمر الصادر إليه من الزعيم، وكانت وسيلته فى ذلك هى الطيران إلى العوارض الخشبية العالية حيث يبيض، فيسقط البيض مهشمًا على الأرض!

وكان رد فعل نابليون سريعًا وحاسمًا؛ فقد أمر بوقف صرف المقررات الغذائية للدجاج؛ كما أمر بفرض عقوبات صارمة تصل إلى حد الإعدام لأى حيوان يضبط بتهمة مساعدة الدجاج تحت أية صورة من الصور!

وكانت الكلاب هى وسيلة نابليون فى فرض الأوامر ومراقبة تنفيذها، واستمر عصيان الدجاج خمسة أيام، ثم استسلم فى نهاية الأمر، وعادت الدجاجات إلى عشاشها بعد أن مات منها تسع تحت أشجار التفاح، وأذيع أن سبب وفاتها مرض من أمراض الدواجن اسمه «الكوكوديوسس»!

ولم يعلم مستر ويمبر شيئًا عن هذا العصيان، فقد تم تسليم البيض بالتمام فى الموعد المتفق عليه تنقله عربة بقالة من المزرعة أسبوعيًا.

وفى هذه الأثناء كانت أخبار سنوبول منقطعة، وإن تردد أنه ما يزال مختبئًا فى إحدى المزرعتين المجاورتين. وكانت علاقة نابليون بالعالم الخارجى لا بأس بها، وكانت لديه بالمزرعة كمية من خشب الزان الذى قطع منذ عشرة أعوام يتنافس فى شرائها جاراه مستر بلكنجتون، ومستر فردريك وقد نصحه مستر ويمبر بالبيع. إلا أنه كان إذا ما أزمع بيعه إلى أحد من جاريه اللدودين خرجت الإشاعات عن وجود سنوبول لديه، وتتوقف الصفقة!

وفجأة فى بداية الربيع حدث أمر مزعج؛ فقد أشيع أن سنوبل اعتاد

أن يرتاد مزرعة الحيوانات بالليل وقد ذعرت الحيوانات لهذا حتى إنها أصبحت لا تكاد تنعم بسباتها، وأصبحت غزوات سنوبول الليلية شيئًا متكرراً؛ فهو يسرق الغلال تارة أويسكب اللبن تارة أخرى، وربما كسر البيض المجموع والمعد للبيع أو قذف بالتقاوى المعدة للزراعة أو نخر أشجار الفاكهة! وكلما حدثت حادثة نسبت إلى سنوبول: فإذا ما كسر الزجاج أو سدت مواسير المياه فإنها كانت ترجع السبب إليه.

ولما ضاع مفتاح المخزن زعمت أن سنوبول سرقه، ثم قذف به إلى أعماق البئر، واستمرت الحيوانات على زعمها حتى بعد أن وجدت المفتاح، وقد أعلن البقر أن سنوبول كان يداهمه ليلاً ثم يحلبه، وحينما أثارت الفئران بعض المتاعب زعمت الحيوانات أنها تأتمر بوحى سنوبول!

وأصدر نابليون أوامره بالقيام بتحقيق كامل عن نشاطات سنوبول؛ كما خرج فى جولة تفتيشية لتفقد جميع منشآت المزرعة تحوطه كلابه، ثم تتبعه عن بعد بقية الحيوانات على استحياء!

وكان نابليون يتوقف بين الفينة والأخرى، ثم يشم الأرض بأنفه، ويأخذ نفسًا عميقًا ثم يردد فى صوت رهيب: نعم، نعم! إنه سنوبول، إننى أكاد أبصره فى كل مكان! وفى كل مرة ينطق باسم سنوبول كانت كلابه تزمجر بوحشية وهى تكشر عن أنيابها!

وكان هذا المنظر كافيًا لإدخال الرعب على قلوب جميع الحيوانات، وقد دخل فى روعها أن شبح سنوبول يتهددها بالويل والثبور.

وعند حلول الليل جمع سكويلر الحيوانات، وقد بدت على وجهه مظاهر التجهم والصرامة، وأعلن وهو ينتفض بعصبية نبأ خطيراً بأن

سنوبول قد باع نفسه لفردريك صاحب مزرعة بنشفيلد! وهما الآن يتآمران تمهيداً للهجوم على المزرعة واحتلالها، وأفضى سكويلر بأن سنوبول هو الدليل الذى سيقود هذه الحملة، وقال: والخطير فى الأمر أيها الرفاق إننى أصبحت أدرك تمامًا المشاعر المنحطة التى أصبحت تحرك سنوبول وهى الخيانة، وليست كما كنت واهمًا من قبل الطموح أو الحسد؛ فقد انكشف الستار عن خيانة سنوبول لأبناء جلدته، وأنه قد باع نفسه لمستر جونز، وأنه كان جاسوسه منذ البداية، ثم استطرد قائلاً: إن هذا التفسير يلقى الضوء على مجريات الحوادث السابقة، ثم تساءل: ألم يحاول بدون جدوى أن يوقع الحيوانات فى الهزيمة، بل الإبادة فى معركة (زريبة البقر)؟

وبهتت الحيوانات، فإن ما نسب لسنوبول من خيانة قد فاق جريمته فى تدمير الطاحونة، وظلت فى حالة ذهول لدقائق وهى لا تكاد تصدق؛ فإنها تتذكر أو ربما خيل إليها أنها تتذكر كيف حمل سنوبول على خصومه فى موقعة (زريبة البقر)، وكيف كان يحارب ويقود المعركة؟، وكيف أنه لم يتقاعس فى أية لحظة حتى بعد أن أصابته قذيفة مستر جونز؟ فكيف يمكنها إذن تصديق مثل هذه الأقوال عن خيانته، حتى بوكسر الذى لم يكن ليتشكك هو نفسه فى البلاغات التى تذاع - قد أدركته الحيرة، وأغلق عينيه جاهداً فى صياغة ما يجول فى فكره ثم قال بعد لأى: إننى لا أستطيع تصديق مثل هذا؛ فقد أبلى سنوبول بلاء حسنًا فى معركة (الزريبة) فاستحق وسام «بطل البهائم» من الدرجة الأولى بعد المعركة!

فرد سكويلر بأن سنوبول كان قد أحكم خديعته حتى اكتشفت وثائق سرية تدينه، وتوضح دوره فى الخيانة، فاعترض بوكسر بقوله: ولكن

سنوبول قد جرح فى أثناء المعركة! فرد عليه سكويلر موضحًا: إن هذه الجروح السطحية افتعلت افتعالاً تنفيذاً للتمثيلية التى كان قد رسمها مستر جونز، وإن لدى سكويلر الوثائق المكتوبة التى سجلها سنوبول على نفسه وهو على أتم استعداد لتقديمها لبوكسر إذا ما كان قادراً على القراءة، وقد دون فيها أنه كان يتعين على سنوبول طبقًا لخطة المؤامرة أن يعطى إشارة الانسحاب قبل الوقت المناسب، وقد كادت خطته تنجح لولا الزعيم البطل القائد الرفيق نابليون! وقال سكويلر مستطردًا: ألا تتذكرون أيها الرفاق كيف أن سنوبول تتبعه بعض الحيوانات انثنى هاربًا فى اللحظة التى اقتحم فيها مستر جونز وعصابته فناء المزرعة؟ ألا تتذكرون أيها الرفاق كيف أنه فى اللحظة الحرجة التى ساد فيها الاضطراب ولاحت بوادر الهزيمة ـ قفز الرفيق البطل نابليون صارخًا بالموت للآدميين، وقد أعمل أنيابه فى ساق جونز، وظل سكويلر يحاورهم وهو يرتعش حماسًا وينتفض حتى خيل للحيوانات أن شريطًا حيًا من الصور التى رسمها لها سكويلر يبدو أمامها واضحًا وفقًا لترتيب الحوادث فى إطارها الجديد وقد عاد إلى ذاكرتها بالفعل منظر سنوبول وهو يستدير ليهرب فى اللحظة الحرجة فى أثناء المعركة، ولكن بوكسر ظل مشتت الفكر وقال: إننى لا أعتقد أن سنوبول كان خائنًا منذ البداية، بل إنه ظل رفيقًا صالحًا حتى معركة «زريبة البقر».

أما عن خيانته بعد ذلك فهو أمر واضح! وقاطعه سكويلر وهو يضغط على مخارج الألفاظ وبصوت منخفض وإن كان قاطعًا: إن الزعيم الرفيق نابليون فى ترتيبه التاريخى للحوادث قد قرر خيانة سنوبول منذ البداية، وإنه كان عميلاً باع نفسه قبل الانقلاب، فأذعن بوكسر قائلاً: إذا ما كان الرفيق نابليون قرر هذا فإن «نابليون دائمًا على حق!».

هذه هى الروح الثورية ، بهذا صاح سكويلر وهو يلقى على بوكسر نظرات تقدح بالشر من خلال عينيه الضيقتين ، واستأنف قبل أن يغادر مكانه وبصوت فيه نبرات التحذير : إننى أحذر جميع حيوانات المزرعة من جواسيس سنوبول المنتشرين بيننا ، إن عليكم أن تفتحوا عيونكم جيداً .

وبعد مرور أربعة أيام من هذا الحديث أمر نابليون أن تجتمع الحيوانات فى فناء المزرعة ، ثم خرج عليهم من منزله مرتديًا أوسمته كافة بعد أن أنعم على نفسه بعد وسام «بطل البهائم» من الدرجة الأولى بوسام آخر منه من الدرجة الثانية ، تتبعه كلابه الضخمة التسعة وهى تنبح بطريقة تبعث القشعريرة فى القلوب ، وقد أيقنت الحيوانات أن الخطير من الأمور لا بد أنه على وشك الحدوث !

وفى وقفة عسكرية انتصب نابليون وهو يتفحص الوجوه ، ثم صاح بصوت مبحوح تقدمت بعده الكلاب وأمسكت بآذان أربعة من الخنازير ، وهى تصرخ من الألم والرعب ثم جرتها وألقت بها تحت أقدامه ، وكانت آذانها تنزف ، وقد تذوقت الكلاب طعم دمائها ، وأصيبت بحالة شديدة من الهياج ، ولدهشة الجميع فقد هجمت ثلاثة كلاب فى اتجاه بوكسر ، وحينما اقترب منه الكلب الأول دهمه بوكسر بساقه القوية وألصقه بالأرض إلصاقًا فصرخ الكلب مسترحمًا ، وساق بوكسر تضغط عليه وهو ينظر إلى نابليون مستطلعًا كأنما يستأذنه فى سحق الكلب تحت قدمه ! فأمره نابليون بإخلاء سبيله فى الحال وهو يتميز من الغيظ ، وما كاد يرفع عن الكلب قدمه حتى انسحب وهو يئن من الألم وذيله بين رجليه ، ثم هدأت موجة الصخب التى صاحبت هذا المشهد ، واتجهت الأنظار إلى الخنازير الأربعة التى كانت ترتعد هلعًا ، ومظاهر الإثم والندم ترتسم على وجوهها !

والتفت إليها نابليون يأمرها بالاعتراف، وكانت هذه الخنازير هى بعينها التى سبق أن اعترضت على قرار نابليون فى انهاء اجتماعات يوم الأحد. وفى الحال توالت اعترافات هذه الخنازير بأنها كانت دائمًا على اتصال مباشر بسنوبول منذ أن طرد من المزرعة، وأنها ساعدته فى تحطيم الطاحونة، وأنها كانت تخطط معه لتسليم المزرعة لمستر فردريك، كما أضافت هذه الخنازير أن سنوبول سبق أن حدثها بأنه كان عميلاً سريًا لمستر جونز منذ أعوام ماضية وقبل الانقلاب، وحينما انتهت الخنازير من اعترافاتها الصريحة انقضت عليها الكلاب فى الحال ومزقت أعناقها، وصاح نابليون بصوته الرهيب: هل لدى الحيوانات أى اعترافات أخرى؟ فتقدمت ثلاث دجاجات سوداء وهى التى سبق لها أن تزعمت حركة العصيان عند تسليم البيض، وقررت أن سنوبول قد زارها فى الأحلام وحرضها على عصيان أوامر الزعيم نابليون! وفى الحال تم فيها تنفيذ حكم الإعدام، ثم تقدمت إوزة وأقرت بأنها سبق لها أن أخفت ست سنابل من القمح من محصول الموسم السابق وأكلتها ليلاً، وكذلك اعترفت نعجة على نفسها بأنها بالت فى مياه البركة التى يُشرب منها يدفعها إلى ذلك تحريض سنوبول لها، وكذلك اعترفت نعجتان بأنهما نفذتا جريمة قتل فى كبش عجوز كان شديد الولاء لنابليون بأن طاردتاه وحاورتاه حول موقد نار فى فناء المزرعة وهو مريض بالسعال؛ فازداد مرضه سوءاً ومات! وقد نفذت على الخونة جميعًا أحكام الإعدام فى الحال!

وتوالت الاعترافات، وتوالت أحكام الإعدام حتى تكومت جثث الضحايا تحت أقدام نابليون، وفاحت رائحة الدماء التى كانت الحيوانات قد نسيتها منذ نهاية عهد جونز! وحينما انتهى الأمر زحفت الحيوانات بعيداً وهى يائسة ترتعد، لا تعلم أى الأمرين أشد هولاً؟

أخيانة الحيوانات التى تآمرت هى وسنوبول؟ أم منظر أحكام الإعدام الرهيبة؟

نعم: إنها كانت تشاهد مجازر دموية فى عهد جونز البائد، ولكن هذه المذبحة التى شاهدتها اليوم كانت أشد هولاً على نفوسها؛ لأن جلاديها الجدد - إنما هم من أبناء جلدتها؛ فمنذ رحيل جونز لم يفتك حيوان من المزرعة بآخر وإن كان فأراً، وقفلت الخنازير والكلاب إلى منزلها، وزحفت الحيوانات إلى الربوة القريبة من الطاحونة ودون أن تفكر هجعت جميعًا على جنوبها قريبة بعضها من بعض وكأنها تلتمس دفئًا افتقدته نفوسها!

تجمعت كلوفر وموريل وبنيامين والبقر والغنم وقطيع الإوز والدجاج على الربوة ما عدا القط الذى كان قد اختفى عندما استدعاها نابليون للاجتماع، ولقد ظلت الحيوانات كلها واجمة لفترة طويلة من الوقت، وظل بوكسر واقفًا على الربوة وهو فى حالة شديدة من الاكتئاب يهز ذيله يمينًا ويسارًا وهو يحمحم: أنا لا أفهم شيئًا ولا أستطيع أن أتصور أن مثل هذه الأمور كانت لتحدث فى مزرعتنا! وإننا لا نلوم إلا أنفسنا على ما اقترفناه، ولست أرى لهذه الكارثة من كاشف إلا بالعمل! لقد آليت على نفسى أن أستيقظ لأعمل قبل ساعات العمل المقررة بساعة كاملة!

ثم ركض هابطًا إلى المحجر يجمع الأحجار، ويصعد بها إلى حيث موقع البناء حتى أقبل الليل. وظلت الحيوانات قابعة على الربوة وبينها كلوفر لا تتكلم، وهى جميعًا تنظر من فوق الربوة إلى الأفق الواسع الذى يترامى حتى المدينة والمراعى الخضراء تلوح تحت أقدامها ومنظر كومات الدريس والشجيرات والبركة وحقول القمح الخضراء، وسطح منزل المزرعة الأحمر - تلوح فى الأفق والدخان يتصاعد من مدخنته.

لقد كانت أمسية صافية من أمسيات الربيع، وكانت الشمس الغاربة تلقى بأشعتها الذهبية على الحشيش وأسوار المزرعة، ولقد كانت الحيوانات تحلم بأن هذه المزرعة بكل ما تحتويه من جمال ملك لها وكأنها لم تتبين بعد مدى جمالها وسحرها إلا فى هذه اللحظات وللمرة الأولى! ونظرت كلوفر من أعلى الربوة وعيناها مبللتان بالدموع، ولو استطاعت أن تعبر عما يجيش بخاطرها لأفصحت أن الثورة التى عملت الحيوانات من أجلها قد ضلت عن غاياتها! وأن المجازر التى مرت بها ما كانت لتخطر لها على بال حينما كان يخطب ماجور العجوز بليل يدعو فيه إلى التمرد راسمًا للحيوانات صورة باسمة عن مستقبل مشرق لمجتمع سعيد وقد تحررت فيه من إسارها وخوفها وجوعها، كلها سواسية، لا تكلف إلا العمل الذى تطيقه، يحمى قويها ضعيفها تمامًا كما كانت هى كلوفر تحنو على البط الصغير اليتيم الذى كان يلتمس الدفء بين أرجلها على حين كان ماجور يلقى خطابه، ثم توالت الأيام وها هى ذى ثورتها المنتصرة والحيوانات لا تجرؤ فيها أن تعبر عما يدور بعقولها، والكلاب المفترسة تجول بينها، ثم مشاهد أجساد رفاقها الممزقة بعد اعتراف أى اعتراف، دار هذا الشريط، برأس كلوفر على سبيل الذكرى، إنها لم تكن تفكر لحظة فى التمرد أو العصيان؛ فبرغم كل ما مر بالحيوانات من أحداث فقد كانت تؤمن بأن حالها ما زالت أفضل مما كانت عليه فى عهد جونز، وأن عليها أن تعمل دائمًا من أجل ألا تعود (ثانية) نهبًا للإنسان!

وفى سبيل هذا الهدف فإنه ينبغى عليها الإخلاص (والتفانى) فى العمل وتنفيذ ما يصدر إليها من أوامر وقبول زعامة نابليون! لقد انتهت أحلامها السعيدة التى من أجلها جاهدت وضحت وشيدت الطاحونة وواجهت رصاص جونز!

كل هذا كان يدور بخلد كلوفر ولو أنها ظلت على صمتها إلى حين، ثم بددت صمتها هذا بالغناء وكأنها تهرب به من واقعها المر وما فيه من الأسى البالغ العميق وحولها الحيوانات الأخرى وقد تبعتها فى ترديد نشيد الثورة بنغمة بطيئة حزينة جميلة، وكأنها تنعى أيامها الهنيئة، تؤدى نشيدها بلحن ساعفها بإتقان لم يتيسر لها من قبل حتى إذا ما فرغت من إنشاده أعادته من جديد، وعند نهاية أدائه للمرة الثالثة اقتحم عليها سكويلر خلوتها يتبعه كلبان وهو على وشك أن يفضى إليها بحديث هام، وقد أعلن أن الرفيق نابليون قد أصدر مرسومًا خاصًا بمنع ترديد نشيد «يا وحوش إنجلترا» وأنه منذ هذه اللحظة قد أصبح التغنى به من المحظورات!

وقد ذهلت الحيوانات، وتساءلت موريل عن أسباب المنع، فأجابها سكويلر: إن النشيد لم يعد مجاريًا للعصر؛ فإن نشيد (وحوش إنجلترا) كان نشيد الثوار حينما لم تكن هنالك ثورة، والآن فقد تمت الثورة وانتهت إلى غاياتها، وكان فى إعدام الخونة بعد ظهر اليوم نهاية الشوط، وتحقق للثورة النصر على أعدائها فى الداخل والخارج. إن النشيد كان عبارة عن التطلع إلى المستقبل الزاهر السعيد! ثم أعلن سكويلر أن المستقبل الزاهر قد تحقق بالفعل، فأصبح النشيد بذلك غير ذى موضوع! وبرغم ما كانت عليه الحيوانات من ذهول ورعب فقد كان من المحتمل أن يعترض بعضها على مثل هذا القرار لو لم تبدأ الغنم فى ثغائها مرددة شعارها المعهود: «ذوات الأربع أخيار! وذوو الرجلين أشرار!» لدقائق معدودات، انسحب فى أثنائها سكويلر من حيث أتى.

وبعد هذا اليوم لم يسمع النشيد مرة أخرى وقد ألف الشاعر مينيمس نشيدا آخر هو:

مزرعـة الحيـوان الكبرى   مزرعة الحيوان الكبرى

دمت لنا دهـرا دهــرا   وبقيت لنا ذخرا ذخرا

وكان هذا النشيد يغنى صباح كل يوم أحد بعد رفع العلم، وإن كان فى نظر الحيوانات لا يضاهى نشيد «يا وحوش إنجلترا» من حيث النغم أو الكلمات!

الفصل الثامن

بعد أيام قلائل من المذبحة وحينما خفت حدة الرعب من نفوس الحيوانات تذكر بعضها أو خيل إليها أنها تتذكر أن الوصية السادسة من الوصايا السبع القديمة جاءت بنص ينهى الحيوان ألا يقتل حيوانًا آخر على أن أحدًا منها لم يكن ليجرؤ على ترديد هذا الحديث على مسمع من الخنازير أو الكلاب برغم اعتقادها أن المذبحة قد خالفت النصوص الموضوعة والتى تعاهدت الحيوانات على احترامها!

وطلبت كلوفر من بنيامين أن يقرأ لها نص الوصية السادسة، فاعتذر لها كعهده دائمًا بأنه لا يحب أن يورط نفسه فيما لا يعينه! وبحثت عن موريل التى استجابت وقرأت عليها بصعوبة الوصية المطلوبة وكانت كما يأتى: «على الحيوان ألا يقتل حيوانًا آخر . . بدون سبب»، ولسبب ما كانت الكلمتان الأخيرتان غائبتين عن ذاكرة الحيوانات، ولكنها الآن قد أيقنت أن نصوص الوصية لا تتعارض هى والأحداث التى جرت؛ فقد كان من الواضح أن تنفيذ أحكام الإعدام فى الحيوانات التى تعاونت هى وسنوبول كان له ما يبرره.

وفى ذلك العام عملت الحيوانات بدرجة أكبر مما عملت فى العام السابق، فقد كان يتعين عليها الانتهاء من تشييد الطاحونة فى موعدها

المحدد بحوائطها التى يزيد غلظ حيطانها عن سابقتها التى تهدمت، ودون أن يخل ذلك بأعمال المزرعة الأخرى على ما فى ذلك من جهد شديد.

ففى بعض الأحيان كان يخيل للحيوانات أن عدد ساعات عملها قد صارت أطول مما كانت فى عهد جونز، وأن وجباتها التى تقدم لها لا تزيد عما كانت تأكله قديمًا.

وفى صباح أيام الآحاد كان سكويلر يقرأ عليها بيانات إحصائية مدونة على أشرطة ورقية يمسكها بين أظلافه يستفاد منها أن الإنتاج قد زاد بواقع ٢٠٠٪ أو ٣٠٠٪ فى هذا القطاع أو ذاك أو ٥٠٠٪ على حسب الأحوال، ولم يكن لدى الحيوانات أسباب تحملها على الشك فى بياناته بعد أن طال بها العهد فى ظل الثورة حتى أصبحت غير قادرة على تذكر شيء قبلها وإن خيل إليها أنها قد مرت بأيام كانت يتوافر لها فيها غذاء أفضل لولا ما يتلى عليها من إحصائيات، وكانت جميع الأوامر تصدر إليها عن طريق سكويلر أو خنزير آخر، أما نابليون فلم يكن ليظهر بينهما إلا كل أسبوعين، فإذا ما خرج إليها تبعته ثلة من الكلاب، وقد زاد على هذا الموكب ديك أسود اللون فى المقدمة وهو يؤذن بلحن يشبه حامل النفير! فإذا ما أزمع نابليون الخطابة أذن الديك إشارة لبدء الحديث!

وقد أشيع أيضًا أن نابليون قد اتخذ له مسكنًا مستقلاً داخل منزل المزرعة، وأنه أصبح لا يجالس أحدًا فى أثناء غذائه وأن كلبين يقفان على خدمته فى أثناء الأكل كما أنه يستخدم أطقم مسز جونز الفخمة التى كان يستعملها فى المناسبات وقد أخرجها من الصوان الذى بحجرة الجلوس!

وقد أعلن بعد ذلك وجوب الاحتفال بذكرى مولده بإطلاق رصاصة من البندقية، تمامًا كما تحتفل المزرعة بالعيدين الآخرين: ذكرى الثورة، وذكرى معركة (زريبة البقر).

وأصبح من المفروض على الحيوانات ألا توجه الحديث إلى نابليون إلا بعد ذكر ألقابه كاملة مثل الزعيم الرفيق، كما أن الخنازير كانت تضيف إلى ذلك لقب(أبي الحيوانات، هازم الإنسانية، حامي الغنم، صديق البط) وما إلى ذلك من ألقاب، وكان سكويلر حينما يخطب تنهمر دموعه إذا ما ذكر اسم نابليون أو حكمه الغالية وقلبه الرءوف وصدره الذي يتسع لجميع حيوانات الأرض وخصوصًا الحيوانات التعسة الطالع التي تعيش في ظل عبودية الآدميين! واعتادت الحيوانات إرجاع كل أسباب النجاح والحظ السعيد إلى نابليون: فكانت الدجاجة إذا ما وجهت حديثها إلى دجاجة أخرى ابتدرتها قائلة: في ظل إرشادات زعيمنا الرفيق نابليون فقد بضت خمس بيضات في ستة أيام! وربما قالت البقرة لأختها وهي تشرب من مياه البركة: حمداً لزعيمنا الرفيق نابليون: ما ألذ وأصفى هذا الماء! وقد استلهم الشاعر الخنزير مينيمس وحيه من واقع هذه الحال في هذه القصيدة:

يا أبا الأيتام يا نبع السرور
مطعم الجوعان أقداح الشعير
هادئ كالصخر عات كالسعير
إيه نابليون يا بدر البدور

* * *

يا ملاذ الوحش من ظلم الزمن

تــهـــب الـــقـــش طـــريًّـــا لـــلـــوســـن
كـل خـنـزيـر لـديـك مـطـمـــــــئـن
عـــــشت نـابـلـيـــون ذخـــــراً لـلـوطن

* * *

كـــلـــمـــا طـــــار فـــراش كـلـمـــا غــنــت طـيــــــور
عـنـدمــا يـولـد عـنـد الـفـــــجـر خـــــنــزيــــــر غـــريــــــر
صـــيـــحـــة المـولـود كـــانـت وهــو فـى المـهــد صـــغـــيــــر
أنت نــابـلــيـــون مـــجـــد وذكــــــــاء وحـــــــبـــور

* * *

وقد أعلن نابليون رضاءه عن هذه الأبيات وأمر بتعليقها على حائط الحظيرة الكبرى فى مواجهة الوصايا السبع، وقد زين سكويلر الجدار بصورة مكبرة للزعيم قام بتنفيذها باللون الأبيض.

وفى هذه الأثناء كان نابليون منشغلاً بمباحثات حساسة يجريها مع جارية فردريك وبلكنجتون بمعاونة مستر ويمبر بخصوص صفقة الأخشاب التى لم تكن قد بيعت بعد، وكان الجاران اللدودان يتنافسان فى شرائها وإن كانت الأنباء ما زالت تتوالى عن أن فردريك ما زال على غيه القديم يحوك هو ورجاله المؤمرات لمحاولة إعادة تحطيم الطاحونة التى كانت تثير فى قلوب البشر أشد الغيرة؛ كما كان يشاع أن سنوبول ما زال قابعًا فى مزرعة بنشفيلد.

بل إن ثلاث دجاجات من المزرعة قد اعترفت ذات يوم أنها قد تورطت فى مؤامرة حاكها سنوبول لقتل نابليون، وقد أعدمت فى الحال، واتخذت تدابير أمن مشددة لحماية الزعيم.

وكانت تتولى حراسة سريره أربعة كلاب كل منها فى ركن، وعيّن خنزير شاب اسمه بنكارى؛ ليتذوق كل أطعمة نابليون قبل تقديمها إليه خوفًا من محاولة دس السم!

وفى ذلك اليوم أشيع أن نابليون كان على وشك بيع الأخشاب إلى مستر بلكنجتون والدخول معه فى اتفاقية لتبادل السلع بين مزرعة الحيوانات ومزرعة فوكس وود بمعاونة مستر ويمبر، كما أصبحت العلاقات بين طرفى العقد تتسم في الواقع بالود والمجاملة! وبرغم أن الحيوانات كانت لا تثق بأحد من البشر فإنها كانت تفضل مع ذلك مستر بلكنجتون على مستر فردريك الذى كانت تخشاه وتمقته فى الوقت نفسه!

وحينما آذن الصيف بالانتهاء وكاد بناء الطاحونة يكتمل سرت أنباء عن هجوم وشيك يزمع فردريك القيام به، وقد أشيع أنه قد جيش فى سبيل ذلك عشرين رجلاً مدججين بالبنادق، وأنه قد رشا (بوليس) المنطقة حتى لا يتحرك إذا ما سقطت مزرعة الحيوانات فى يده، كما تسربت أنباء عن مدى قسوة فردريك فى معاملة حيواناته فى مزرعته الخاصة بنشفيلد: فقد جلد حصانه الهرم حتى الموت، كما أنه ترك بقرة تموت جوعًا، وأحرق كلبه فى الفرن، وكانت تسليته المفضلة فى المساء معارك يديرها بين ديوكه، وقد ركبت فى أظفارها قطع من أمواس الحلاقة!

وكان الدم يغلى فى عروق الحيوانات حينما تتوالى عليها أنباء هذه القسوة التى يتعرض لها رفاقها، حتى إنها فكرت فى الاستئذان فى الهجوم على مزرعة بنشفيلد، وتخليص ما بها من حيوانات مسكينة من براثن مستر فردريك، إلا أن سكويلر نصحها بالتريث وترك مثل هذه الأمور لحكمة الرفيق نابليون ودهائه!

وارتفعت موجة الكره ضد فردريك، وفى صباح يوم أحد قدم نابليون إلى حظيرة الاجتماعات، وأعلن على الحيوانات أنه لم يفكر فى يوم من الأيام فى بيع صفقة الخشب إلى فردريك، وأنه شخصيًا يعتبر أن التعامل مع أمثال مستر فردريك لا يتفق مع كرامته! وفى يوم من الأيام صدر الأمر للحمام بعدم التحليق فوق مزرعة فوكس وود وعدم التعرض لها والاقتصار على الدعوة إلى الثورة فى مزرعة بنشفيلد؛ كما صدرت إليه التعليمات بتعديل الشعار القديم: (الموت للإنسانية!) إلى: «الموت لفردريك!».

وفى أخريات الصيف اكتشفت مؤامرة جديدة دبرها سنوبول الذى تبين أنه داهم المزرعة بليل وخلط تقاوى القمح ببذور الحشيش، وقد اعترف بهذا ذكر من الإوز كان قد شاركه فى المؤامرة، ثم انتحر فى الحال ببلع حبات من نبات سام! وقد تبين الآن للحيوانات كافة أن سنوبول لم يحصل إطلاقًا على وسام «بطل البهائم» من الدرجة الأولى عن دوره فى معركة «زريبة البقر» كما كان يشاع فى الماضى، وقد اتضح لها أن سنوبول نفسه هو مصدر هذه الإشاعات المغرضة، وأن حقيقة الأمر هو أن سنوبول كان قد عزل بعد هذه المعركة لما أبداه فيها من جبن.

ومرة أخرى فقد ساور بعض الحيوانات الشك فيما أذيع عليها أخيرًا من معلومات، إلا أن سكويلر استطاع أن يضع الأمور فى نصابها وأن يبين لها مدى ضعف ذاكرتها.

وفى الخريف كانت الحيوانات قد بذلت مجهودًا ضخمًا فى حصاد المحصول فى موعده تقريبًا، وكذلك فقد تمكنت فى الوقت نفسه من الانتهاء من بناء الطاحونة فى الوقت المحدد، وأصبح لزامًا عليها أن تحصل على الأدوات اللازمة لتشغيلها عن طريق مستر ويمبر!

نعم لقد انتهت من بناء الطاحونة فى موعدها المحدد باليوم برغم جميع المصاعب وعدم خبرتها بالبناء ونقص المعدات اللازمة وسوء الطالع وخيانة سنوبول وأنها إذ تشعر بالتعب فإنها مع ذلك كانت فخورة تطوف حول تحفتها الفنية التى بدت لها أجمل مما كانت عليه فى المرة الأولى، وقد أصبحت حوائطها أكثر غلظًا من سابقتها بحيث لا يمكن هدمها إلا باستعمال المفرقعات.

لقد كان يطوف بذهنها ما لاقته فى سبيل بنائها من جهد بالغ ومصاعب جمة، وقد تغلبت عليها بإيمانها، وآن لها الآن أن تهنأ بمستقبل سعيد باسم بعد أن تم لها ما أرادت، وما هى إلا فترة قصيرة حتى يتم تركيب المراوح لتشغيل المولد الكهربى. كانت هذه الأمانى العذبة تدور بخلدها، فتنسى ما مر بها من تعب، وتهرول حول الطاحونة وهى تصيح بصيحات النصر!

وأقبل نابليون بشخصه تتبعه كلابه، ويتقدمه ديكه الأسود لتفقد الطاحونة وقد هنأ بنفسه الحيوانات على إنجازها الضخم، وأعلن أنه منذ الآن فإن الطاحونة ستحمل اسمه لتصبح (طاحونة نابليون).

بعد يومين من الانتهاء من تشييد الطاحونة دعيت جميع الحيوانات للقاء خاص فى الحظيرة، وبين ذهولها الشديد أعلن نابليون عليها نبأ بيع صفقة الخشب لفردريك، وأن عربات فردريك ستحضر فى صباح اليوم التالى لتحويل الأخشاب، كما أعلن أنه طوال فترة صداقته بمستر بلكنجتون كان على وفاق سرى كامل مع مستر فردريك، وأنه منذ الآن قد قطع علاقاته بمزرعة فوكس وود، وأن حملاته الإعلامية قد تم توجيهها ضد بلكنجتون، وأن شعار الحمام المعدل (الموت لفردريك) قد عدل من جديد ليصبح (الموت لبلنجتون)! كما أصدر

نابليون تعليماته بتجنب الإساءة إلى مزرعة بنشفيلد وكذلك أنبأها نابليون أن أخبار المعارك المزعومة التى يديرها فردريك لا أساس لها من الصحة، وأن أخبار قسوته على حيواناته مبالغ فيها للغاية، وأن مثل هذه الشائعات قد أطلقها سنوبول وعملاؤه، وأنه لا صحة لما تردد من وجود سنوبول بمزرعة بنشفيلد، بل إنه يتقلب فى أسباب الأبهة والترف بمزرعة فوكس وود.

وكانت الحيوانات فى حالة انتشاء وهى تسمع سكويلر يلقى عليها أخبار دهاء نابليون وخديعته لبلكنجتون، فقد استطاع بإظهار الصداقة له أن يجبر مستر فردريك على رفع سعر الخشب اثنى عشر جنيهًا، واستطرد سكويلر أن مدى حكمة الزعيم تتضح من خلال حذره الشديد من الآخرين بما فى ذلك فردريك نفسه، فإن فردريك أراد أن يسدد ثمن الخشب بما يسمى «الشيك» وهو عبارة عن قطعة من الورق دون عليها أمرا بالسداد، ولكن نابليون بزه فى لعبة الدهاء حينما اشترط أن يكون الدفع بورق حقيقى من البنكنوت من فئة خمسة الجنيهات تدفع قبل تسلم الخشب، وقد أذعن فردريك للشروط وقام بالدفع وقرر سكويلر أن ما تجمع لديهم من عملات أصبح كافيًا لشراء جميع المعدات اللازمة للطاحونة.

وفى هذه الأثناء تم تسليم الخشب الذى نقل على عجل، ثم عقد نابليون اجتماعًا خاصًا بقاعة الحظيرة لكى يطلع الحيوانات على ورق البنكنوت، وبدا نابليون وهو يعتلى سريرًا من القش، ويرتدى وساميه، ويفتر ثغره عن ابتسامة عريضة، كما بدت بجانبه كومة من النقود الورقية فى طبق صينى!

وزحفت الحيوانات فى بطء وهى تحملق بكل نظراتها، بل إن

بوكسر زاد على ذلك بأن وضع أنفه فى الصحن وهو يشم النقود عميقًا حتى تناثرت من أنفه بعض الرغاوى البيضاء!

وبعد ثلاثة أيام من هذا المشهد حضر مستر ويمبر على دراجته وهو ممتقع الوجه، واقتحم بسرعة منزل المزرعة، وقد أحدث وجوده بهذه الصورة هرجًا ومرجًا شديدين فى أنحاء المزرعة، وسمع بعد ذلك صوت نابليون مدويًا، وانتشر خبر الزيارة مثل النار فى الهشيم، فقد تبين أن أوراق البنكوت التى قدمها مستر فردريك مزورة! وأنه بذلك يكون قد اشترى الخشب بدون مقابل!

وفى الحال استدعى نابليون جميع الحيوانات وفى صوت رهيب أصدر حكمًا بالإعدام على فردريك، فإذا ما تم القبض عليه فإن الحكم يتم بسلقه فى الماء المغلى حيًا!

كما أنذرها أنه يتوقع المبادرة بالعدوان فى أية لحظة من جانب فردريك بعد أن انكشف غشه، وأن فردريك ورجاله قد يقومون بهجومهم المنتظر فى أى وقت، ولذلك فإن نابليون قد أمر بإقامة حراسة كاملة على جميع مداخل المزرعة، كما أنه قد بعث بأربع حمامات إلى فوكس وود وهى تحمل منه رسائل ودية لإعادة ما انقطع من علاقات بينه وبين بلكنجتون!

وفى صبيحة اليوم التالى لاحت بوادر المعركة حينما هرعت طلائع الحيوانات المكلفة بالحراسة إلى مبانى المزرعة، على حين كانت الحيوانات تتناول «الفطور»، وقد أنذرت هذه الطلائع بأن فردريك ورجاله قد اقتحموا بالفعل بوابة المزرعة ذات العوارض الخمس، وتحركت الحيوانات بشجاعة لمقابلة الزحف، ولكنها فى هذه المرة لم

تحظ بالنصر السريع الذى سبق لها أن أحرزته فى معركتها السابقة «زريبة البقر».

فقد كان المهاجمون خمسة عشر رجلاً، منهم ستة مسلحون بالبنادق وقد بادروا الحيوانات بسيل من الرصاص وهم على بعد خمسين ياردة منها، ولم تستطع الحيوانات مقابلة الرصاص المنهمر، برغم ما بذله نابليون وبوكسر من جهد فى تجميع صفوفها، وانسحبت إلى الخلف وقد أصيب عدد منها بجروح، ثم تحصنت بمبانى المزرعة، وأطلت بحذر من خلال النوافذ الضيقة وثقوب الأبواب وقد وقعت مراعى المزرعة والطاحونة فى أيدى أعدائها!

وخيل للجميع بما فى ذلك نابليون أن المعركة قد انتهت بالفعل وقد تمت هزيمتها، وكان نابليون يغدو ويروح بصبر نافد وذيله المتقلص يتحرك فى عصبية، ومن حين لآخر فإنه كان يتطلع إلى الناحية التى بها مزرعة فوكس وود وعيناه تنظران فى ضراعة، فلو أن مدداً جاءه منها فربما يستطيع أن يقلب الوضع لمصلحته، وفى هذه الأثناء عادت الحمامات الأربعة وهى تحمل لنابليون رسالة رداً على خطابه إلى بلكنجتون وقد ضمنها العبارة الآتية «لقد نلت جزاءك!».

وتابع نابليون تحركات الأعداء فإذا بهم يتوقفون حول الطاحونة، ونظرت الحيوانات واجفة إلى رجلين من بينهم يحاولان تدمير الطاحونة وقد حملا فى أيديهما عتلة ومطرقة.

وطمأن نابليون الحيوانات بألا تخشى شيئًا، وأن بناء الطاحونة أقوى من أن يحطمه رجلان قبل أسبوع كامل، وطلب إليها أن تحتفظ برباطة جأشها!

وكان بنيامين يتابع تحركات الرجلين باهتمام بالغ وهما يحفران

حفرة تحت الطاحونة يستعملان فيها المطرقة والعتلة، وبتؤدة هز بنيامين رأسه وكأنه قد أدرك ما يحاولان أن يفعلاه وقد بدت على وجهه علامات الرضا عن النفس وقال:

إننى كنت أتوقع منهما ذلك، إنهما يحفران حفرة تحت الطاحونة وسيملآنها بمواد ناسفة!

ولم تكن الحيوانات لتجرؤ على الخروج من مكامنها بالمبانى وقد قبعت تراقب مجريات الأحداث وهى واجفة، وبعد دقائق معدودات شاهدت الرجال تجرى بعيداً عن الطاحونة فى كل اتجاه، ثم سمعت صوت انفجار مدو طار عند سماعه الحمام مذعوراً، وألقت الحيوانات بنفسها على بطونها وقد أخفت فى الأرض وجوهها ما عدا نابليون.

وحينما عادت الحيوانات لمراقبة مجريات الأمور شاهدت دخانًا أسود يتصاعد إلى السماء، ولما انقشعت تلك السحابة السوداء كانت الطاحونة قد اختفت عن الأنظار وقد تناثر على الأرض حطامها!

وعند هذا المنظر الرهيب نسيت الحيوانات يأسها وخوفها، ودبت فى صدورها نار الغضب والثورة، وانطلقت صيحة مدوية تدعو للانتقام، انطلقت فى إثرها الحيوانات صفًا واحداً متماسكًا دون انتظار للأوامر، وأطبقت على أعدائها غير عابئة برصاصهم المنهمر!

ثم تلاحمت فى معركة رهيبة، وانطلق الرجال يضربونها بعصيهم وأحذيتهم الثقيلة. وقد قُتلت فى المعمعة بقرة وثلاث نعاج وإوزتان كما أصيب كل المتحاربين بجروح وإصابات مختلفة: فنابليون الذى كان يقود العمليات الحربية عن كثب أصيب طرف ذيله برش الرصاص فبتره، وكذلك أصيب الرجال جميعًا، فقد أصاب بوكسر بضربات

حافره الحديدى جماجم ثلاثة منهم كما أحدثت بقرة بقرونها جرحًا غائرًا ببطن أحدهم ومزقت جيسى وبلويل سراويلهم.

وكان نابليون قد سبق أن أصدر أمرًا إلى كلابه التسعة بمراقبة سور المزرعة، وقد عادت الكلاب فجأة وهى لا تكاد ترى من السور وقد علا نباحها إلى جانب الرجال المهاجمين.

وقد كان لظهورهم المباغت أثره على الرجال الذين خافوا أن تطوقهم الحيوانات، وأمرهم فردريك فى الحال بالانسحاب فى الوقت المناسب، وهرع الرجال الجبناء إلى خارج المزرعة ينشدون السلامة! وانطلقت الحيوانات فى إثرهم تركلهم حتى اضطر الرجال إلى الهروب عبر أسوار المزرعة الشوكية إبقاءً على حياتهم!

لقد تم للحيوانات النصر، ولكنها كانت مرهقة تنزف، وفى بطء عادت (ثانيًا) إلى مبانى المزرعة وهى تعرج وقد حركت مشاعرها مناظر رفيقاتها وهى صرعى فوق الحشيش، وانطلقت بعضها تبكى! ثم توقفت قليلاً أمام أطلال الطاحونة والأسى يغمر نفوسها؛ فقد كانت رمزًا حيًا لإرادتها وها هى ذى قد تهدمت من أساسها؛ بل إن أحجارها كانت قد تناثرت بعيدًا بفعل الانفجار، وحتى أصبح من العسير إعادة استخدامها فى البناء من جديد! لقد أصبحت الطاحونة أثرًا بعد عين!

وحينما اقتربت الحيوانات من مبانى المزرعة خرج عليها سكويلر وهو يهز ذيله ووجهه يطفح بالبشر، لقد كان قابعًا فى مكانه حينما كانت تحارب، وها هو ذا يعدّ لها استقبالاً يليق بالمنتصرين، وسمعت رصاصة تدوى وتساءل معها بوكسر عن سبب إطلاق الرصاصة، فصاح سكويلر احتفالاً بالنصر، وتساءل بوكسر (ثانيًا) أى نصر؟

وكانت ركبه تنزف دمًا وقد فقد (حدوة) حديدية، كما أصيب أحد

حوافره بكسر، واستقر رش البنادق فى فخذيه الخلفيتين وعندئذ صاح سكويلر ببوكسر: تتساءل عن النصر! ألم نطرد نحن أعداءنا من أرضنا، أرض الحيوانات المقدسة؟ فقال: ولكنهم حطموا الطاحونة التى اجتهدنا فى بنائها عامين! وصاح سكويلر: سنبنى إذا ما شئنا ست طواحين!

ألا تتصورون أيها الرفاق مدى الإنجاز الضخم الذى حققناه؟ ألم يكن أعداؤنا قد احتلوا أرضنا التى نقف عليها الآن ثم استعدناها نحن قطعة قطعة بفضل زعامة الرفيق نابليون الرشيدة؟ وهنا قاطعة بوكسر متسائلاً من جديد: أى نصر؟ كل ما فى الأمر أننا قد استعدنا (ثانيًا) ما كان لنا من قبل! فأجابه سكويلر: إن ذلك هو النصر المبين!

وواصلت الحيوانات المسيرة وبوكسر يعرج وقد أحدثت به كرات الرش التى استقرت تحت جلده ألمًا شديداً، وكان فى ذلك الوقت يفكر فى العبء الجسيم الذى ألقت به المعركة على أكتافهم؛ فإن الطاحونة التى قد نسفت لا بد أن يعاد بناؤها من جديد!

ولقد عقد بوكسر العزم على تهيئة نفسه لهذا الغرض العظيم وللمرة الأولى من حياته التى امتدت أحد عشر عامًا شعر بوكسر بوطأة السنين وثقلها؛ كما أحس بالوهن يدب فى عضلاته القوية!

وعندما شاهدت الحيوانات العلم الأخضر وهو يرفرف على ساريته، وسمعت دوى الرصاص للمرة السابعة ونابليون يقوم فيها خطيبًا يهنئها على بسالتها - خيل إليها فى نهاية المطاف أنها قد أحرزت بالفعل نصراً عظيمًا، وقامت بدفن ضحايا المعركة فى موكب مهيب! وكان بوكسر وكلوفر يجران العربة التى وسدت فيها الجثث، ويتقدمها نابليون شخصيًا.

وظلت لعدة أيام بعد ذلك تحتفل بانتصارها بإلقاء الخطب وترديد الأناشيد وإطلاق الرصاص، ووزعت الهدايا عليها وأهدىَ لكل حيوان تفاحة، وكل طائر أوقيتان من القمح، وكل كلب ثلاث قَطع من البسكويت؛ وأطلق نابليون على الحرب الأخيرة اسم (معركة الطاحونة). وقد أمر نابليون بتخصيص وسام تخليداً لذكرى المعركة من مرتبة وشاح العلم الأخضر الذى أنعم به على نفسه.

وفى غمرة الابتهاج بالنصر نسيت الحيوانات قصة البنكنوت المزيف، وبعد أيام قلائل من هذه الاحتفالات أخرجت الخنازير من مخزن المنزل صندوقًا من (الويسكى) كانت قد تركته بعد استيلائها على المزرعة، وفى هذا المساء سمعت الحيوانات صخبًا شديداً ينبعث من منزل المزرعة، كما سمعت الخنازير تغنى بصوت عال، وتخلط الأنغام بعضها ببعض، وقد أدهشها أن تسمع بين هذا النشاز بعض فقرات من النشيد الممنوع «يا وحوش إنجلترا» وفى الساعة التاسعة والنصف مساءً لمحت الحيوانات لدهشتها الشديدة نابليون وهو يرتدى قبعة مستر جونز وقد خرج من الباب الخلفى للمنزل مهرولاً، ودار حول ساحة الفناء ثم عاد ثانيًا من حيث جاء دون ما سبب واضح.

وفى صباح اليوم التالى كان الصمت مخيمًا على المنزل حتى الساعة التاسعة صباحًا ثم خرج سكويلر وهو يمشى الهوينى، وتبدو عليه علامات المرض والاكتئاب وقد انتفخت عيناه وهو يجر ذيله جراً، وقد تهدل خلفه وجمع حوله الحيوانات ليتلو عليها الخبر المقتضب الآتى:
إن زعيمنا نابليون فى النزع الأخير!

وعندئذ أخذت الحيوانات فى الولولة، ثم قامت بفرش القش فى الفناء لكيلا تحدث صوتًا يقلق راحة المحتضر، وكانت تمشى على

أطراف أصابعها، وإذا ما تحدثت فبالهمس، وكانت تسائل بعضها بعضا والدموع فى مآقيها عن مصيرها إذا ما مات الزعيم!

وقد سرت إشاعة أن سنوبول هو الذى دس السم فى طعام نابليون، وفى الساعة الحادية عشرة خرج عليها سكويلر (ثانيًا) بالخبر التالى: أيها الرفاق، إن زعيمنا قبل أن يوافيه الأجل المحتوم قد أصدر مرسومًا باتًا بعقوبة الموت بالإعدام على كل من تسول له نفسه شربَ الخمر!

وعند المساء سرت أنباء سعيدة بتحسن صحة الزعيم، وفى اليوم التالى أعلن سكويلر أن صحة الزعيم فى تقدم مطرد، وفى مساء اليوم التالى عاد نابليون إلى مهام منصبه، وفى اليوم التالى أصدر نابليون أوامره إلى مستر ويمبر بشراء المراجع الخاصة بطرق التخمير والتقطير.

وبعد أسبوع أصدر نابليون أوامره بحرث المرعى الصغير الذى خلف حديقة الفاكهة، وهو الذى كان قد أنفق على تخصيصه لكبار السن من الحيوانات التى تحال إلى التقاعد! وقد علل إجراءه هذا بأن الحشيش الضار قد داهم هذا المرعى، فلزم الأمر بحرث الأرض وتجهيزها تمهيداً لإعادة زراعتها من جديد.

ثم تبين للحيوانات فيما بعد أن نابليون قد أمر بزراعة هذا المرعى شعيراً.

وفى الليلة ذاتها وقع بالمزرعة حادث مريب وإن لم تكن الحيوانات لتعرف ما وراءه! فعند منتصف الليل سمعت جميعًا صوتًا مكتومًا ينبعث من الفناء وكأنه جسم يرتطم هو والأرض من عل! وقد هرعت الحيوانات من حظائرها؛ لتستطلع الخبر فى ضوء القمر، وعند الحائط الخلفى لمبنى الحظيرة الكبرى حيث قد دونت الوصايا السبع وجدت الحيوانات سلمًا مهشمًا على الأرض وسكويلر ملقًى بجانبه وهو فى

حالة ذهول مؤقت وقد سقط بجانبه مصباح وفرشاة وعلى الأرض بقايا طلاء أبيض يسيل من علبة مقلوبة!

وكانت الكلاب تحيط بسكويلر وكأنها تحرسه، ثم ما لبث أن أفاق من غشيته، وحينما استطاع النهوض انسحب قافلاً للمنزل بين دهشة الحيوانات التى استبد بها الفضول إلا بنيامين، فقد ظل صامتًا يهز رأسه وتبدو عليه سمات العارفين!

وبعد ذلك الحادث بأيام بينما كانت موريل تعيد لنفسها قراءة الوصايا السبع لاحظت أن وصية من بينها قد سبق للحيوانات حفظها على غير وجهها الصحيح؛ فإن نص الوصية الخامسة التى درجت الحيوانات على حفظها عن ظهر قلب كانت كما يأتى: «غير مسموح للحيوانات بشرب الخمور» إلا أن موريل فى قراءتها الأخيرة اكتشفت أنها كانت قد نسيت كلمتين عثرت عليهما من بعد لتصبح الوصية مكتملة كالآتى: غير مسموح للحيوانات بشرب الخمر... لحد الإفراط!

الفصل التاسع

كان حافر بوكسر بطيئًا فى التئامه، وقد ابتدأت الحيوانات فى إعادة بناء الطاحونة بعد أن انتهت مهرجانات الاحتفال بالنصر مباشرة، ولم يكن بوكسر ليقبل أن يتوقف العمل يومًا واحدًا برغم ما يعانيه من بالغ الألم.

وكان اعتزازه بكرامته يأبى عليه أن يطلع رفاقه على مدى إحساسه بالآلام، فإذا ما أقبل المساء وانتهت نوبات العمل، قفل راجعًا إلى كلوفر يبث لها ما يعانيه.

وكانت كلوفر تعد له لدائن من الحشيش الممضوغ تداوى بها حافره المصاب، وكانت هى وبنيامين يلحان عليه إلحاحًا شديدًا ألا يرهق نفسه هذا الإرهاق الشديد فى عمله الدائب، وطالما رددت كلوفر على مسامعه ما تعلمه من أن رئة الخيل هى نقطة الضعف فيها يؤثر عليها الإجهاد الشديد تأثيرًا سيئًا.

ولم يكن بوكسر ليستمع إليها، وآماله كلها تتركز فى ضرورة الانتهاء من تشييد الطاحونة، وأن يوفر لها كل الإمكانات الضرورية قبل أن يبلغ سن التقاعد المقررة والتى لم يبق له على بلوغها إلا القليل.

ففى بداية حركة الانقلاب قننت الثورة نظامًا تحال بموجبه شتى الحيوانات إلى التقاعد عند سن محددة وكانت هذه السن اثنى عشر عامًا للخنازير والخيل وأربعة عشر عامًا للبقر وتسعة أعوام للكلاب وسبعة للأغنام وخمسة أعوام للدجاج والإوز والبط، وقد طرحت هذه اللائحة للتصويت وحظيت بالإقرار بالإجماع.

ولم يكن أحد من حيوانات المزرعة قد بلغ بعد سن التقاعد، ومع ذلك فقد أعيد طرح موضوع التحديد لسن المعاش لمختلف الأصناف المرة تلو المرة، وقد قيل أخيراً بعد أن خلص المرعى الصغير وزرع شعيراً: إن جزءاً من المرعى الكبير سيسور ويخصص للمحالين إلى المعاش؛ كما قيل أيضًا: إنه قد اتفق على المخصصات المقررة للمتقاعدين وهى خمسة أرطال من الغلال يوميًا يزاد عليها فى الشتاء خمسة عشر رطلاً من الدريس، كما يضاف إلى هذه الوجبة جزر أو تفاح فى المناسبات.

وكان بوكسر سيصل إلى تمام سن الاثنى عشر عامًا فى نهاية الصيف فى العام التالى، وفى هذه الأثناء كانت الحيوانات تعمل عملاً متواصلاً فى شتاء قارص كسابقه، وكان الغذاء المتاح لها أقل مما اعتادته.

ومرة أخرى تقرر تخفيض وجبات جميع حيوانات المزرعة ما عدا الخنازير والكلاب وبرر سكويلر ذلك التفاوت فى المعاملة بقوله إن المساواة الكاملة فى الوجبات تتنافى فى جوهرها ومبدأ الحيوانية!

وقد قرأ عليهم البيانات الإحصائية التى يتضح منها بجلاء أن وجباتهم المعدلة كافية برغم المظاهر التى تتعارض هى وهذه الحقيقة!

وكان سكويلر يصر على استعمال كلمة التعديل فى المقررات

الغذائية بدلاً من لفظ الإنقاص، وقد اتضح من المقارنات الإحصائية التى ساقها لها أنها بالفعل تحظى بغذاء وافر يفوق بكثير ما كان جونز يقدمه لها.

ويتضح منها مدى الرغد الذى تنعم به. وفى صوت سريع يفيض بالانفعال بين لها الزيادة التى تحظى بها فى كل المواد الغذائية من القرطم والدريس واللفت، كما بين لها انخفاض عدد ساعات عملها الفعلية فى ظل الثورة وتحسن نوعية ونقاء مياه الشرب وارتفاع متوسط الأعمار وانخفاض نسبة وفيات الأطفال، كما أنها أصبحت تنعم بالمزيد من القش اللازم للتدفئة؛ كما هبطت نسبة وجود البراغيث كثيراً عما كانت عليه قبل الانقلاب!

ولقد صدقت الحيوانات كل ما أذاعه عليها سكويلر، وخصوصًا أنها أصبحت لا تتذكر عهد جونز بوضوح.

إنها ولا شك تعانى من وطأة عمل قاس فى ظل ظروف صعبة؛ فهى تعمل طوال يومها برغم البرد والجوع، ولكنها برغم ذلك لا بد أن تكون بالفعل أسعد حالاً مما كانت عليه فى العهد الماضى! إن مثل هذه الحقائق التى أبرزها سكويلر والتى أضحت تقتنع بصحتها تضفى عليها بعض الراحة والسعادة، كما ألمح سكويلر بنعمة الحرية التى تحظى بها وقد أسعدت الحيوانات فكرة العمل بوحى من نفسها.

وعند قدوم الخريف جد على المزرعة أعضاء جدد، فقد وضعت أربع خنزيرات واحداً وثلاثين مولوداً فيما بينها يقع على المزرعة عبء إطعامها، ولما كانت جميع الخنازير الوليدة رقطاء اللون، ولما كان نابليون هو الذكر الوحيد بين الخنازير الذى لم تجر عليه عملية الخصى، فقد كان يظن بالمزرعة أنه الأب الأوحد المحتمل، وذلك ما قد تم بالفعل

إعلانه رسميًا بعد ذلك وقد تقرر بناء مدرسة خاصة بها حالما يوجد الطوب والخشب اللازمان.

وقد كان نابليون يشرف بنفسه على توجيه هذه الخنازير الصغيرة فى مطبخ المنزل، وكانت تتدرب على الرياضة بحديقة المنزل، كما صدرت إليها التعليمات بتجنب اللعب مع صغار الحيوانات الأخرى، وفى ذلك الوقت أيضًا صدرت التعليمات لحيوانات المزرعة بأنه إذا ما تقابل خنزير وحيوان آخر فى ممر ضيق فإنه ينبغى على هذا الحيوان الآخر أن ينتحى جانبًا ريثما يمر الخنزير! وكذلك أعطى الإذن لجميع الخنازير على اختلاف رتبها بتزيين ذيولها بالأشرطة الخضراء فى أيام الآحاد!

ومع أن محصول الموسم كان جيدًا فإن المزرعة كانت تعانى من نقص العملات النقدية لشراء الطوب والرمل والجير لبناء المدرسة، وكذلك لتوفير شتى متطلبات الطاحونة من الأجهزة، وكان عليها أيضًا شراء البترول اللازم للإضاءة والشموع للمنزل، والسكر لنابليون وحده، فقد أصدر أمره بحظر أكله على بقية الخنازير بدعوى حرصه على عدم ترهلها، وكذلك ينبغى شراء الأدوات المختلفة كالمسامير والحبال والفحم والأسلاك والحديد (وبسكويت) الكلاب!

ولذلك فقد بيعت كمية من الدريس ومحصول البطاطس؛ كما عدل عقد بيع البيض بحيث زيد إلى ستمائه بيضة أسبوعيًا؛ مما كان يهدد بنقص عدد الدجاج بالمزرعة بعد أن اتضح أن البيض المخصص للفقس فى هذا العام لم يكن كافيًا، وقد تقرر إنقاص الوجبات المقررة للحيوانات فى شهر ديسمبر، وأعيد إنقاصها فى فبراير؛ كما حظر عليها استعمال المصابيح فى حظائرها اقتصادًا للبترول، وبرغم ذلك فإن الخنازير كانت دائمًا فى أحسن حال، بل إنها بدت أكثر وزنًا!

وبعد ظهر يوم من الأيام سرت رائحة زكية تنبئ بغذاء دافئ مطبوخ، ولم تكن الحيوانات قد شمت من قبل مثل هذه الرائحة التى كانت تنبعث من معمل التخمير الذى خلف المطبخ والذى كان قد أهمل منذ رحيل مستر جونز، وظلت الحيوانات تشم هذه الرائحة المنبعثة التى تشبه رائحة الشعير المطبوخ وهى تحلم بوجبة ساخنة عند العشاء تهدئ من شدة البرد الذى تعانيه عند حلول المساء.

ولكن حلمها هذا كان بعيداً عن التحقيق، بل على العكس من ذلك: ففى اجتماع يوم الأحد التالى تلقت الحيوانات الأمر بتخصيص كل إنتاج الشعير لاستعمال الخنازير وحدها، وكان الحقل الذى خلف حديقة الفاكهة قد زرع شعيراً بالفعل.

وقد تسربت الأنباء للحيوانات أنه قد قرر لكل خنزير قدح من الجعة يوميًا على حين خصص لنابليون نصف جالون يقدم له فى صحن عميق من الصينى الفاخر!

نعم، إن الحياة أمام الحيوانات قد أصبحت قاسية وإن كان يخفف عليها بعض هذه القسوة شعورها بمزيد من الكرامة أكثر من ذى قبل، وكذلك فإنها كانت تنعم بمزيد من الأغانى والخطب والمواكب، كما أمر نابليون أن تقدم لها كل أسبوع حفلة مفآجات تدور فى محورها حول انتصار مزرعة الحيوانات وحتمية النضال! وفى المواعيد المقررة لانتهاء العمل كانت الحيوانات تصطف وتسير فى مشية عسكرية حول حدود المزرعة وقد تقدمت الخنازير الصف تتبعها الخيل ثم البقر فالغنم، وأخيراً طيور المزرعة فى حين تمشى الكلاب على جانبى الموكب يتصدرها جميعًا ديك نابليون الأسود! وكان بوكسر وكلوفر يحملان فيما بينهما علم المزرعة الأخضر يزينه حافر وقرن وقد كتب عليه:

«يعيش الرفيق نابليون»، وبعد ذلك الموكب كانت تتلى عليها قصائد المديح لنابليون، ثم تبدأ خطبة سكويلر لبيان آخر تطورات المركز الإحصائى لزيادة الإنتاج الغذائى، وتيمنًا بهذه المناسبة، تطلق رصاصة من البندقية!

وكانت الغنم أكثر الحيوانات ترحيبًا ومساهمة فى مثل هذه الحفلات المرتجلة وإذا ما همس أحد الحيوانات بالشكوى (وهو ما كانت تفعله إذا لم يكن الخنازير أو الحمام بجوارها) من طول الحفلات، مما يضيع عليها الوقت، ويعرضها للوقوف الطويل فى الصقيع ـ كانت الغنم تسرع إلى إسكاته بهتافها المدوى: «ذوات الأربع أخيار! ذوو الرجلين أشرار!» ولكن الغالبية العظمى من الحيوانات كانت تسعد بهذه الحفلات وما فيها من خطب عن الحرية؛ كما كانت تسعد أيضًا بالأغانى والمواكب وبيانات سكويلر الإحصائية وفرقعة البارود وأذان الديك ورفع العلم؛ فإن كل هذا كان ينسيها وطأة الجوع الذى كانت تعانيه ولو لبعض الوقت!

وفى أبريل أعلنت مزرعة الحيوانات أنها قد اختارت النظام الجمهورى كنظام للحكم، وأنه يتعين انتخاب رئيس للجمهورية، ولما لم يكن أحد قد تقدم للترشيح لهذا المنصب إلا نابليون وحده فقد انتخب بإجماع الآراء!

كما أذيع فى اليوم نفسه أنه قد تم العثور على وثائق جديدة يتضح منها بجلاء تآمر سنوبول مع جونز، وهى تفاصيل تؤكد دور سنوبول فى الخيانة، فإنه لم يكتف كما كان يتصور بالعمل على طعن زملائه الحيوانات من الظهر عند معركة «زريبة البقر» وفقًا لخطة مدبرة، بل إنه حارب جهارًا فى جانب جونز وفى وضح النهار، بل إنه كان فى حقيقة

الأمر يقود بنفسه حملة الآدميين، وإنه قد ابتدر المعركة وهو يصيح «فليحى بنو آدم»! أما الجروح التى كانت تدمى فى ظهره والتى كانت الحيوانات تظنها من أثر بندقية جونز فلم تكن فى حقيقة أمرها إلا بفعل أسنان نابليون!

وفى منتصف الصيف ظهر فى المزرعة فجأة الغراب موسى بعد غياب استمر لعدة أعوام، ولم تكن طبائعه قد تغيرت فى شىء؛ فهو كسول لا يحب العمل، وحينما يتكلم فإنه كان يؤكد من جديد قصته القديمة عن جبل (السكر نبات)، ولقد كان يجثم على جذع شجرة قديمة، ويفرد جناحيه الأسودين، ويتكلم فى هذا الموضوع لساعات طويلة لمن يستمع إليه.

وكان يشير بمنقاره الضخم إلى السماء ثم يقول فى وقار: هنالك فى السماء أيها الرفاق، هنالك فى أعالى السماء وخلف هذه السحابة الداكنة التى ترونها بأعينكم جبل (السكر نبات) موطن السعادة حيث تلجأ إليه الحيوانات التعسة إلى الأبد تستريح من شقاء الدنيا!

بل إن موسى وصل به الحد إلى الإدعاء بأنه صعد إلى السماء بنفسه، وشاهد حقول البرسيم يحدّها سور من الفطائر وكتل السكر!

وقد آمن بنبوءته كثير من الحيوانات التى استحالت حياتها إلى تعس أى تعس وإلى جوع مرير وقد صورت لها أمانيها أن عالما آخر لا بد أن ينتظرها حيث يسود العدل ويعم الحق!

ولم تكن طبيعة العلاقة ما بين الخنازير والغراب مفهومة؛ فمع أنها كانت تسخر بنبوءته عن جبل (السكر نبات) فإنها مع ذلك قد سمحت له بالإقامة فى المزرعة بلا عمل، بل إنها كانت تصرح له بقدح صغير من الجعة يوميًا!

التأم حافر بوكسر وهو مستمر فى عمله بعزيمة لا تعرف الكلل، وحينما تم له الشفاء انكب على عمله بعزيمة أقوى من ذى قبل؛ كما كانت الحيوانات كلها تعمل كما يعمل العبيد الأرقاء طوال عامها، فبجانب العمل فى إعادة بناء الطاحونة وفلاحة الحقل ـ كان عليها بناء مدرسة خاصة لصغار الخنازير، وابتدأت فى بنائها فى شهر مارس فعلاً.

وبرغم قسوة العمل مع نقص الوجبات الغذائية فإن بوكسر لم تفتر عزيمته ولم تبد عليه فى أحاديثه أو عمله أية ظاهرة من ظواهر الشيخوخة وإن يكن مظهره قد تغير بعض الشيء؛ فقد انطفأت لمعة شعره، ونقص حجم عجزه، وكان أصدقاؤه يأملون له أن يسترد وزنه إذا ما أقبل الربيع، إلا أن آمالهم لم تتحقق فى هذا الشأن.

بل إن مظاهر الضعف ابتدأت تلوح عليه حينما كان يصعد المرتقى الصعب من المحجر إلى موقع الطاحونة، وكانت قوة إرادته وحدها هى التى تبقيه واقفًا على أرجله، وكانت الحيوانات تراه وهو يجاهد ويتمتم «سأعمل أكثر» وصوته لا يكاد يخرج من فمه من الضعف، وكان كلوفر وبنيامين يحذرانه من مغبة تبديد ما بقى له من عافية وهو لا يلتفت إلى نصحهما، وكان قد أوشك أن يقرب من الاثنى عشر عامًا وقد كرس كل همه فى أن يجمع للحيوانات القدر الكافى من الحجارة لإعادة بناء الطاحونة قبل أن يصل إلى سن التقاعد!

وفى ساعة متأخرة من مساء الصيف سرت فى المزرعة إشاعة مفادها أن سوءًا قد وقع لبوكسر حينما كان يجر بمفرده أحمالاً من الحجارة إلى موقع الطاحونة، ثم أقبلت حمامتان مذعورتان بالخبر اليقين، فقد انكفأ بوكسر على جانبه وإنه لا يستطيع حراكًا!

وهب أكثر من نصف حيوانات المزرعة مندفعًا إلى الربوة وإذا بها تجد بوكسر مطروحًا بين عارضتى عريشة العربة ورقبته ممدودة إلى الأمام وهو عاجز أن يقيم رأسه وقد غمر العرق الأبيض جانبيه! وكانت عيناه تلمعان كالزجاج ليس فيهما أثر للوعى أو الإدراك وكان شريط رفيع من الدماء يسيل من فمه.

وقد ركعت كلوفر على ركبتيها الأماميتين بجواره وهى تناجيه: بوكسر، كيف حالك؟ وبصوت واهن أجابها بوكسر: رئتاى! ثم تمتم لا شيء يهمنى الآن وقد جمعت من الحجارة ما يكفى الطاحونة، وأظنكم قادرين على إكمالها بعدى!

وأضاف أننى اقتربت من السن المقررة للتقاعد ولم يبق لى على بلوغها إلا شهر واحد على أى حال، وإننى كنت أتطلع بأمل كبير إلى بلوغ سن التقاعد لقد كنت أخفى عنكم أملى هذا، وقد أسعدنى أن بنيامين كاد يناهز هو أيضًا السن المقررة؛ وما أظن أحدًا سيضن علينا بالراحة بعضنا إلى جوار بعض!

وقالت كلوفر له: يجب أن ننقلك فى الحال إلى مبانى المزرعة، وأهابت بإحدى الحيوانات أن تذهب؛ لتبلغ سكويلر ما حدث، وانقضت الحيوانات من حوله إلا كلوفر وبنيامين الذى ركع بجانبه دون أن يهمس بكلمة يذود عنه الذباب بذيله الطويل.

وبعد ربع ساعة حضر سكويلر وحوله الحيوانات وهو يبدى اهتمامه وتعاطفه؛ كما أبلغ بوكسر أن الرفيق نابليون قد أحيط علمًا بالأنباء، وأنه يبدى بالغ أسفه لما حل به، وخصوصًا أنه يعتبره أخلص العاملين بالمزرعة، وأن ترتيبات قد اتخذت بالفعل لنقله إلى المستشفى البيطرى فى ويلنجدون.

وقد شعرت الحيوانات بشيء من الجزع لنبأ إزماع نقل بوكسر إلى المستشفى؛ فإن أحدًا منها لم يبرح قط حدود المزرعة بخلاف مولى وسنوبول، وإن فكرة وضع بوكسر تحت رعاية الآدميين لم تكن لتسعدها إلا أن سكويلر أفهمها أن علاج بوكسر يحتاج إلى رعاية خاصة لا تتوافر بالمزرعة.

وبعد ذلك بنصف ساعة حينما استرد بوكسر بعض عافيته وقف على أقدامه بصعوبة، وانسحب إلى حظيرته فى بطء على حين هيأت له كلوفر ومعها بنيامين كومة من القش، لينام عليها؛ وظل بوكسر طريح فراشه يومين كاملين وقد عثرت الخنازير على زجاجة من الدواء وجدتها فى حمام المنزل بعثت بها إلى بوكسر، وكانت كلوفر تزوده بجرعتين منها بعد الأكل، وفى المساء بعد انتهاء العمل كانت توافيه وتنام معه فى حظيرته، وتتحدث إليه؛ كما كان بنيامين يزوره ويذود عنه الذباب بذيله.

وكان بوكسر كعادته شجاعًا فى مرضه، ولم يكن يشعر بالأسى على نفسه، فإذا ما قدر له الشفاء فإنه كان يتوقع أن يعيش لثلاث سنوات أخرى فى ركن من المرعى الكبير يقضيها فى راحة وسلام.

وقد كان يصبو إلى هذه الفرصة التى ستتيح له الوقت الكافى للدراسة والمعرفة وقد كان يأمل أن يحفظ بقية حروف الهجاء الباقية وعددها اثنان وعشرون حرفًا وظلت كلوفر وكذلك بنيامين يزورانه كل يوم بعد انتهاء ساعات العمل.

وفى ظهر يوم من الأيام بينما كانت الحيوانات تقوم بزراعة اللفت تحت إشراف الخنازير حضرت إلى المزرعة عربية ضخمة لنقل بوكسر

وقد دهشت الحيوانات حينما رأت بنيامين يهرع إليها من ناحية مباني المزرعة وهو ينهق بأعلى صوته.

وكانت هي المرة الأولى التي تبصر فيها بنيامين وقد استبد به الانفعال.

وكذلك فقد كانت المرة الأولى التي رأته فيها وهو يعدو ويصرخ بأعلى صوته: تعالوا حالاً سريعًا، إنهم يأخذون بوكسر بعيدًا! ودون أن تستأذن الحيوانات الخنازير انفضت عن أعمالها هارعة إلى مباني المزرعة حيث أبصرت عربة نقل صندوقية يجرها حصانان وعليها كتابة بالحروف الضخمة ويسوقها حوذي يرتدي قبعة ذات شكل خاص. وانطلقت الحيوانات إلى العربة تودع بوكسر وهي تدعو له بالسلامة.

وصاح فيهم بنيامين: أيها المغفلون أيها المغفلون يقول هذا وهو يدور حولهم ويدق الأرض بحافره أيها المغفلون ألا تعلمون ما معنى الكتابة التي دونت على العربة؟ وخيم الصمت على الحيوانات وابتدأت موريل في فك الرموز، ولكن بنيامين دفعها جانبًا ووسط ذهول الحيوانات انبرى يقرأ الكتابة، فكانت: «ألفريد سموندز ـ جزار خيول ـ وتاجر غراء ـ ويلنجدون متعهد جلود وعظام ومورد غذاء للكلاب!».

وصاح بنيامين فيهم ألا تدركون بعد ما يدور حولكم؟ إنهم يقذفون بوكسر إلى الجزار، وانبعثت من الحيوانات صيحات الذعر والاستنكار، وعند هذه اللحظة ألهب الحوذي خيله بالسوط، وتحركت العربة تجرها الخيل وهي تخب خبيًا أنيقًا.

وتبعت الحيوانات العربة وهي تعدو وتولول ولولة عالية، واندفعت كلوفر وهي تعدو بأسرع ما تستطيع أرجلها وهي تصيح بوكسر، بوكسر، بوكسر! وعند سماع صوتها أطل بوكسر برأسه ذي الوسمة

البيضاء، فابتدرته كلوفر محذرة! اخرج بسرعة من العربة، بسرعة، إنهم يسوقونك إلى حتفك! وصاحت الحيوانات: اهرب يا بوكسر! ولكن العربة كانت تسرع فى جريها وهى تيمم نحو باب المزرعة.

ولم تكن كلوفر على يقين أن بوكسر قد فهم فحوى رسالتها إلا أن رأس بوكسر اختفى من فتحة العربة، ثم سمعت الحيوانات أصوات حوافر بوكسر وهى تحدث بجدران العربة الخشبية ضجيجًا هائلاً محاولاً أن يجد لنفسه منفذًا إلى الهرب!

ولكن الزمن الذى كان فيه بوكسر قادرًا على تحطيم صندوق العربة إلى شظايا كعيدان الثقاب ولى، وأصبح عجوزًا محطمًا، فما هى إلا لحظات قليلة من المحاولة حتى خفتت أصوات حوافره، وخيم الصمت على العربة من جديد! وفى محاولة يائسة اندفعت الحيوانات تجرى وراء العربة وهى تناشد حصانى العربى ألا يأخذا أخاهما إلى حتفه!

وتحركت آذان الحصانين إلى الخلف يتسمعان هذه الجلبة وإن كانا لا يفهمانها واندفعا بسرعة إلى الأمام، ثم شرعت الحيوانات فى الاندفاع إلى بوابة المزرعة ذات العوارض الخمس وسد طريق الخروج أمام العربة إلا أنها كانت قد اقتربت منها وشقت طريقها إلى خارجها، وقد اختفى بوكسر معها إلى الأبد!

وبعد ثلاثة أيام أعلن نبأ وفاة بوكسر بمستشفى ولنجدون برغم مالقيه فيها من عناية بالغة؛ وقد نعى سكويلر إلى الحيوانات بوكسر، وقرر أمامها أنه ظل بجانبه فى المستشفى حتى لحظاته الأخيرة، وذكر لها وهو يمسح بظلفه دمعة لم يستطع أن يحبسها أن المنظر الذى تعرض له حينما كان فى صحبة بوكسر كان مؤثرًا وعاطفيًا، وأنه قد تعرض إلى موقف لم يكن ليحتمله حينما كان بجانب سريره يستمع إلى صوته الواهن

وهمس المنخفض فى أذنه، ونقل لها ما قاله قبل أن يموت: «إن الأسى ليعصر قلبه لأنه لم يقدر له أن يشهد الطاحونة وقد اكتملت حال حياته!» ولقد لفظ أنفاسه الأخيرة وهو يهتف: إلى الأمام أيها الرفاق فى ظل الثورة! تعيش مزرعة الحيوانات! يعيش الرفيق نابليون، نابليون دائمًا على حق!

وهنا توقف سكويلر فجأة عن الكلام وقد احتقن وجهه من الغيظ وعيناه ترمقان الحيوانات وبهما معانى الأسى والتحدى وقد انتفض انتفاضة شديدة تدل على استيائه وتوتره؛ فقد نما إلى علمه أن فرية حقيرة سخيفة قد سرت فى المزرعة حينما حضرت العربة لنقل بوكسر وقد كتب عليها (جزار خيول) كما قرأت الحيوانات، فظنت الظنون، واستنتجت ما شاء لها الهوى من أن بوكسر قد بيع إلى الجزار!

وقال سكويلر: إنه لا يكاد يصدق أن يصل الغباء ببعض الحيوانات إلى هذا الحد، ثم صاح وهو ينتفض ويميل من جانب إلى آخر وقد هز ذيله بعصبية: إنكم تعرفون تمامًا المبادئ التى يقف من أجلها زعيمنا المحبوب الرفيق نابليون، وإن المسألة ذاتها لا تحتاج لكثير من الإيضاح؛ فإن المستشفى الذى بعث بعربته كان قد اشتراها من محل جزارة؛ ولم يتح للمستشفى الوقت الكافى لإزالة ما كان على العربة من كتابة قديمة!

ومن هنا وقع الالتباس فى الفهم، وقد استراحت شتى الحيوانات لهذا التفسير، وحينما أعاد سكويلر وصف الساعات الأخيرة التى قضاها بجانب سرير بوكسر بشىء من الإسهاب ومدى الرعاية الطبية الكاملة التى عومل بها والأدوية المرتفعة الثمن التى قرر نابليون شراءها برغم تكاليفها الباهظة ـ فإن البقية الباقية من الشكوك التى كانت تراود

الحيوانات تبددت تمامًا، كما خفف من لوعتها على رفيقها الفقيد أنه على الأقل قد أسلم الروح وهو سعيد!

وفى يوم الأحد التالى ظهر نابليون شخصيًا وأبّن بوكسر بكلمة قصيرة وأبدى بالغ أسفه أن لم يستطع استعادة جثمان الفقيد لدفنه فى ثرى المزرعة إلا أنه قد أمر بعمل إكليل ضخم من زهور اللوريل وإرسالها لتوضع على قبره.

كما ذكر أن الخنازير قد عقدت العزم كذلك على إقامة وليمة لذكرى الفقيد العزيز. وقد ختم نابليون خطبته ذاكرًا أن الفقيد كان يتمثل بشعارين لازماه حتى ساعاته الأخيرة: هما: «سأعمل أكثر ونابليون دائمًا على حق» وأن على الحيوانات أن تقتدى بهذين الشعارين الغاليين!

وفى اليوم المحدد للحفلة التأبينية حضرت إلى المزرعة عربة بقالة ويلنجدون، وسلمت صندوقًا خشبيًا ضخمًا إلى منزل المزرعة، وفى هذه الليلة سمعت الحيوانات غناءً صاخبًا ينبعث من المنزل تلاه صوت مشادات حامية انتهت بأصوات تهشيم الزجاج ثم خفتت هذه الضوضاء عند الساعة الحادية عشرة مساء.

وفى اليوم التالى ظل السكون مخيمًا على منزل المزرعة حتى الظهر، وترددت إشاعة بالمزرعة مفادها أن الخنازير قد تمكنت فى الليلة السابقة من شراء صندوق من الويسكى بطريقة ما!

الفصل العاشر

ومرت الأعوام بين مواسم تنقضى وأخرى تقبل، مات فى غضونها كثير من الحيوانات ذات الأعمار المحدودة حتى لم يعد بالمزرعة من الحيوانات من يذكر عهد ما قبل الثورة ما عدا كلوفر وبنيامين والغراب موسى وبعض الخنازير، فى حين نفق كثير من الحيوانات منها: موريل وبلوبل وجيسى وبنشر، وكذلك فإن مستر جونز قد وافاه الأجل المحتوم فى مستشفى بعيد خاص بعلاج مدمنى الخمر!

وقد طوى النسيان سنوبول، وكذلك فإن ذكرى بوكسر قد امحت إلا فى قلوب قلة من عارفيه! وأصبحت كلوفر فرسًا عتيقة ضخمة البنية، وقد أصيبت مفاصلها بشيء من التيبس، وأصبحت وكأن عينيها دائمًا مغرورقتان بالدموع! وقد بلغت من العمر ما يزيد على سن التقاعد بعامين إلا أن فكرة الإحالة إلى التقاعد فى المزرعة لم تعد قابلة للتطبيق، بل إن الحديث فيها قد انتهى؛ كما انتهت فكرة تجنيب جزء من المرعى للمسنين من الحيوانات! أما نابليون فقد أصبح خنزيرًا بالغًا ضخمًا يزيد وزنه على ٣٣٦ رطلاً، وكذلك فإن سكويلر قد بلغ من السمنة بحيث أصبح لا يمكنه فتح عينيه للرؤية إلا بصعوبة، أما بنيامين فقد ظل بدون تغيير إلا من بعض الشعيرات البيضاء حول فمه وقد أثر فى نفسيته موت بوكسر فصار أكثر صمتًا وانطواءً.

وقد زادت أعداد الحيوانات بالمزرعة وإن كانت بدرجة أقل مما كان متوقعًا فى السنوات الأولى من الانقلاب. وقد وردت على المزرعة حيوانات لا تكاد تعرف شيئًا عن الثورة إلا القليل مما تتناقله الحيوانات الأخرى؛ كما اشترت مزرعة الحيوانات بعض الحيوانات التى لم يسبق لها أن سمعت شيئًا عن الثورة من قبل!

وقد أصبحت المزرعة تمتلك فى ذلك الوقت خيولاً ثلاثًا بجانب كلوفر تتصف بالنشاط والإقبال على العمل وحب الرفاق وإن تكن غاية فى الغباء حتى إن أحداً منها لم يستطع حفظ حرف واحد من حروف الهجاء بعد الباء! وكانت هذه الخيول تصدق كل ما تلقنه عن الثورة ومبادئ المذهب الحيوانى Animalism، وخصوصًا إذا ما نقل لها عن كلوفر التى كانت تشعر لها باحترام الأمومة!

وقد أصبحت المزرعة فى عهدها الجديد أكثر رخاءً وأحدث تنظيمًا، وقد ضم إليها حقلان اشتريا من مستر بلكنجتون، وصارت المزرعة تمتلك آلة للدراس، وأخرى لتجميع الدريس كما شُيدت مبان أخرى كثيرة، واشترى ويمبر لنفسه عربة صغيرة؛ كما تم بناء الطاحونة بنجاح فى آخر الأمر وإن لم تستغل فى أغراض توليد الكهربا، واكتفى بتشغيلها كمطحنة للغلال، وقد درت على المزرعة أرباحًا طائلة، وكذلك انشغلت الحيوانات فى بناء طاحونة أخرى بزعم أنها ستزود بجهاز توليد الكهربا.

وقد نسيت الحيوانات الوعود القديمة التى طالما رددها سنوبول على مسامعها والتى كانت تحلم بها مثل تزويد الحظائر بالمصابيح الكهربية والمياه الباردة والساخنة واقتصار العمل على ثلاثة أيام فقط بالأسبوع! وقد وصم نابليون هذه الأفكار بأنها تعارض جوهر المذهب الحيوانى،

فإن السعادة الحقيقية تكمن كما قال فى العمل الجاد والتقشف فى الحياة! وبرغم زيادة ثراء المزرعة فقد ظلت الحيوانات التى تعيش بها على سيرتها الأولى من الفقر ما عدا الخنازير بطبيعة الحال وكذلك الكلاب، وربما كان تعليل ذلك أن الخنازير أصبحت تمثل الأغلبية بالمزرعة، ولم تكن الخنازير عاطلة لا تعمل، وإنما كانت لها تخصصات دقيقة لا يستطيعها أحد غيرها! كما كان سكويلر يذكر مراراً وتكراراً للحيوانات أن الخنازير تؤدى أعمالاً جليلة لا تكاد تنتهى فى مجالات الرقابة والتنظيم الإدارى بالمزرعة، وأن كثيراً من هذه الأعباء أصعب من أن يتناولها الشرح وإن كان فى صورتها المبسطة عبارة عن تحرير الملفات والتقارير والمذكرات ومحاضر الجلسات وتدوينها!

ومثل هذه الأعمال تؤدى بالكتابة على كميات ضخمة من الورق، فإذا ما تم لها تحبير هذه الأوراق فإنها بعد ذلك تجمعها وتحرقها بالفرن، وأفهمها سكويلر أن مثل هذه الأعمال هى من الأهمية بمكان لرفاهية المزرعة برغم ما يبدو من أن الخنازير والكلاب لا تساهم مباشرة بالمجهود العضلى وأن شهيتها دائمًا ممتازة.

أما الحيوانات الأخرى فقد كانت حياتها تسير على نمط واحد؛ فهى دائمًا جوعى تنام على القش، وتشرب من البركة، وتعمل فى الحقل، وفى الشتاء تعانى من البرد، أما فى الصيف فمن الذباب، وفى بعض الأحيان فإن العجائز منها كانت تعصر ذاكرتها؛ لتعود بها إلى أيام الثورة الأولى بعد طرد جونز، وماذا كانت عليه حالها فى ذلك الوقت بالمقارنة مع ما هى عليه الآن من حيث السعادة والشقاء؟ ولكنها كانت لا تذكر شيئًا تستطيع به مضاهاة الماضى بالحاضر اللهم إلا بيانات سكويلر الإحصائية والتى يتضح منها بجلاء أنها تتقدم يومًا بعد يوم!

ولكن تفكيرها فى هذا الشأن لم يكن ليقودها إلى جواب شاف؛ كما أن عملها اليومى الشاق لم يدع لها فراغًا للتفكير.

أما بنيامين العجوز فقد كان يدعى أنه يذكر كل تفاصيل حياته المديدة الماضية، وكان يكرر القول بأن الحياة هى الحياة، وأنها لم تكن فيما مضى أسوأ أو أحسن مما هى عليه الآن! فهى تمضى رتيبة ديدنها دائمًا الجوع والتعب وخيبة الأمل! ومع ذلك فإن الحيوانات لم تكن لتكف عن الأمل فى المستقبل؛ كما أنها لم تفقد ولو للحظة واحدة شعورها بالفخر والاعتزاز بانتمائها إلى مزرعة الحيوان؛ فهى الحيوانات (الوحيدة) فى أنحاء إنجلترا التى تمتلكها بنفسها وتدير مزرعتها الخاصة!

ولم يكن ليشذ عن هذا الشعور بالإعجاب أحد منها صغيرًا كان أو قادمًا جديدًا ممن اشتُرى من المزارع الأخرى التى تبعد عشرة أو عشرين ميلاً، وحينما يدوى صوت البندقية أو يرفرف العلم الأخضر فوق ساريته فإن قلوبها كانت تعمر بالفخر الأبدى، وتعود إلى أحاديث البطولات الماضية حينما استطاعت الحيوانات طرد جونز، وحينما دونت الوصايا السبع، وحينما استطاعت أن تنتصر على الآدميين فى معارك مشهودة!

إنها الأحلام الذهبية التى لم يستطع الزمان أن يجرى عليها بالنسيان، بل إن الحيوانات كانت يداعبها الأمل القديم الذى تنبأ به ميجور من دحر الآدميين وتطهير كل حقول إنجلترا الخضراء منهم! إن هذا اليوم لقادم، وربما كان وشيكًا، وربما تحقق حال حياتها، ولكنه يوم لا ريب فيه، بل إن الحيوانات فى خلواتها كانت ما تزال تدمدم بلحن «يا وحوش إنجلترا» كلما أتيحت لها الفرصة، وعلى أى حال فإنها كانت تحفظ اللحن وإن جبنت عن التغنى به جهرًا!

ربما كانت حياتها شاقة والكثير من آمالها كان بعيدًا عن التحقيق، ولكنها تدرك تمام الإدراك أنها حيوانات ليست كبقية الحيوانات الأخرى، فهى إذا ما جاعت فإنها لا تعتمد فى القليل الذى تأكله على الآدميين المتجبرين! وإذا ما أرهقت فى العمل فإنها تدرك أن عملها يعود عليها؛ كما كان يسعدها أنه ليس بالمزرعة من يمشى على رجلين اثنين، وليس بينها سيد ومسود؛ أليست كل الحيوانات سواسية؟

وفى ذات يوم من أوائل الصيف أمر سكويلر الغنم أن تتبعه إلى أرض قفر فى الطرف البعيد من المزرعة حيث تنبت شجيرات البتولا الشيطانية، وكانت تقضى طوال يومها وهى ترعى أوراق الشجيرات تحت إشراف سكويلر، وفى المساء كان سكويلر وحده يرجع إلى منزل المزرعة على حين يترك الغنم فى مرعاها فى ليل الصيف الدافئ.

وظلت الغنم على هذه الحال أسبوعًا كاملاً لا تتصل فى غضونه بالحيوانات الأخرى، كما ظل سكويلر طوال هذا الوقت معها مدعيًا للآخرين أنه على وشك تلقينها أغنية جديدة، وبعد عودة الغنم وفى ليلة من ليالى الصيف اللطيفة حينما انتهت الحيوانات من عناء عملها وهى تتجه إلى مبانى المزرعة تناهى إلى أسماعها صهيل حصان فزع ينبعث من الفناء وقد توقفت الحيوانات؛ لتسمع من جديد، فإذا الصهيل ينبعث (ثانيًا) وخيل إليها أنها كلوفر، فاندفعت الحيوانات تجرى إلى الفناء فإذا بها تبصر الشيء الذى أفزع هو نفسه كلوفر، لقد كان أمامها خنزير يمشى على رجليه الخلفيتين، ودققت النظر فإذا به سكويلر يخطو ورجلاه لا تكادان تحملانه من فرط سمنته، ومع أنه كان حديث العهد بمشية الرجال فإنه استطاع أن يحتفظ بتوازنه جيدًا! وبعد لحظة من الزمان خرجت الخنازير من المنزل إلى فناء المزرعة فى طابور

طويل وهى تمشى على أرجلها الخلفية بعضها يكاد يتقن المشية، وأخرى تترنح وكأنها تبحث عن عكاز يحفظ عليها توازنها، ولكنها على أية حال استطاعت أن تدور حول الفناء بنجاح، وفجأة علا نباح الكلاب، وسمع صوت أذان الديك الأسود، ثم خرج عليها نابليون بذاته وبطلعته الملكية واعتدال قامته وهو يوزع نظراته المستعلية على رعيته هنا وهناك وكلابه تحيط به وهى تتوثب، وفى شق ظلفه شاهدت الحيوانات سوطًا! وخيم صمت عميق، وبدت على الحيوانات أمارات الدهشة والخوف، واقتربت بعضها من بعض تشاهد طابور الخنازير وهى تدور حول الفناء فى تؤدة، وخيل للحيوانات أن السماء قد انطبقت على الأرض: ولما زالت عنها آثار الصدمة العنيفة التى أحدثها هذا المنظر وعلى الرغم من رعبها من الكلاب وعادتها فى الصمت المتصل عبر السنين الطويلة دون أن تجرؤ على التصريح بالشكوى أو توجيه النقد مهما يكن البلاء والعناء، بالرغم من كل هذا فإن بعض الحيوانات ربما أفصحت عن امتعاضها واعتراضها الشديدين!

وقبل أن تفكر واحدة منها أن تفتح فمها انفجرت الأغنام فى هتاف عال وكأنها قد تلقت إشارة البدء فانطلقت فى صوت واحد تردد شعاراً جديداً: «ذوات الأربع أخيار، ذوو الرجلين أفضل!» «ذوات الأربع أخيار، ذوو الرجلين أفضل!» .. دواليك!

وظلت الأغنام تردد شعارها المستحدث لخمس دقائق دون انقطاع، ولما هدأت كانت الفرصة السانحة للاعتراض قد ولت، وكانت الخنازير قد قفلت عائدة إلى منزلها.

وأحس بنيامين بأنف كلوفر وهو يقترب من كتفه وقد خبا بريق عينى كلوفر أكثر من ذى قبل، ودون أن تتكلم اندفعت تربت معرفته بحنان

وهى تقوده إلى حائط الحظيرة حيث دونت الوصايا السبع، ولدقيقة أو اثنتين وقفا ينظران الحائط الأسود وعليه حروف بيضاء، ثم قالت كلوفر أخيراً: إن بصرى يخوننى كما أننى حينما كنت فى شبابى لم أكن لأستطيع أن أقرأ ما كان مدونًا على الحائط، أما زالت الوصايا السبع كما كانت على حالها يا بنيامين؟ وللمرة الأولى خالف بنيامين سيرته الأولى فى الصمت، وأخذ فى قراءة ما كان مدونًا على الحائط، ولم يكن على الحائط إلا وصية واحدة نصت على الآتى:

«كل الحيوانات سواسية ولكن بعض الحيوانات أكثر مساواة بعضها لبعض!»

ولم يعد من المستغرب بعد ذلك حينما حضرت الخنازير لتلاحظ سير العمل بالمزرعة أن يحمل كل منها سوطًا فى أظلافه، ولم يعد من المستغرب أيضًا أن تتوالى الأنباء عن أن الخنازير قد اشترت لأنفسها مذياعًا وأنها تتخذ الترتيبات كافة لشراء تليفون، وأنها قد اشتركت فى مجلات جون بول وتيتبتس والديلى ميرور، ولم تكن الحيوانات لتدهش حينما أبصرت نابليون وهو يتنزه في حديقة المنزل على حين يدخن غليونه! ولم يعد يدهشها كذلك منظر الخنازير وهى ترتدى ثياب مستر جونز وقد تأنق نابليون نفسه فى معطفه الأسود؛ كما ارتدت خنزيرته الحسناء ثوبًا حريريًا هفهافًا كانت مسز جونز تعده لأيام الآحاد!

وبعد ظهر يوم من الأسبوع التالى وفدت على المزرعة عدة عربات هبط منها وفد من جيرانها الزارعين دعوا للقيام بجولة تفتيشية فى أنحاء المزرعة، ليطلعوا بأنفسهم على جميع نشاطاتها، فأبدوا إعجابهم الشديد بكل ما شاهدوه وبالطاحونة على وجه الخصوص، وكانت

الحيوانات فى ذلك الوقت منهمكة فى تطهير حقل اللفت من الحشيش، وظلت منكبة على عملها لا تجسر على رفع رأسها حينما قدم الوافدون وهى لا تعلم من أمر نفسها شيئًا هل هم البشر الذين أدخلوا على قلوبها كل هذا الهلع أو هى الخنازير؟

وفى المساء انبعثت من المنزل ضحكات عالية وأغان صاخبة وقد مس الحيوانات شعور فياض بالفضول حينما اختلطت عليها الأصوات، فماذا تكون عليه الحال حينما تجتمع الحيوانات للمرة الأولى مع الآدميين على قدم المساواة؟

وكأنما كانت الحيوانات على اتفاق سابق؛ فقد أخذت كلها تزحف فى هدوء إلى حديقة المنزل، وتوقفت برهة قصيرة عند مدخل الحديقة وهى لا تجرؤ على الدخول، ولكن كلوفر قادت الجمع إليها، وعلى أطراف أصابعها تقدمت الحيوانات إلى المنزل، وتطلع طوال القامة منها عبر نافذة حجرة الطعام وقد شاهدت على المائدة الممتدة ستة من المزارعين وستة من وجهاء الخنازير يتصدرهم نابليون فى المقعد الرئيس، وبدت الخنازير سعيدة، على سليقتها فى مقاعدها الوثيرة!

وكان الجميع يتسلون بلعب الورق، ثم ما لبثوا أن توقفوا إلى حين لتبادل شرب الأنخاب! ودارت على المجتمعين آنية ضخمة لإعادة ملء أكواب الجعة الفارغة وهم لا يشعرون بالحيوانات التى كانت تطل عليهم من خارج المبنى وقد علت وجوهها الدهشة!

ثم وقف مستر بلكنجتون صاحب مزرعة فوكس وود وكأسه فى يده وهو يقترح على الحضور أن يعيدوا ملء كئوسهم؛ ليشربوا نخبًا! ثم قال: إن لديه كلمة تلح عليه أن يلقيها، فإنه قد وجد من دواعى سعادته الغامرة وكذلك سعادة الآخرين أن تنتهى فترة الشك وسوء الفهم التى

قد سادت طويلاً العلاقات التى بينهم وبين السادة الداعين وإلى الأبد، فقد مضى وقت طويل كان فى المجتمع - وليس هو أو السادة الذين يزورون على وجه الخصوص - من ينظر إلى السادة الداعين ملاك مزرعة الحيوانات المبجلين بعين الريبة أو العداوة. وقد أذكى هذه البغضاء بعض الأحداث المؤسفة التى نجمت عن ظنون خاطئة؛ فقد كان من المعتقد أن وجود مزرعة تملكها وتديرها الخنازير مخالفة لنواميس الحياة؛ مما يهدد جيرانهم بعدم الاستقرار!

وإن كثيراً من المزارعين ظن فى الوهلة الأولى أن مثل هذه المزرعة لا بد أن تكون مثلاً للفوضى وسوء النظام مما يهدد بانتقال عدواها إلى حيواناتهم بمزارعهم وكذلك مستخدميهم.

أما الآن فقد زالت نهائيًا مثل هذه الشكوك بعد زيارتهم لمزرعة الحيوانات وإطلاعهم على واقع أحوالها بأعينهم، وإن ما عاينوه من تطور أساليب العمل بالمزرعة، وكذلك دقة النظام والترتيب يجعل من هذه المزرعة مثلاً طيبًا جديراً بالاتباع بين أصحاب المزارع كافة!

وإنه ليقرر عن يقين أن الحيوانات الدنيا فى مزرعة الحيوانات إذا ما قورنت أحوالها بالحيوانات المثيلة فى جميع بقاع إنجلترا فهى لا شك أكثرها عملاً وأقلها تغذية، وأن كثيراً من الأساليب المتبعة فى معاملتها كانت لهم أولى بالتطبيق فى مزارعهم الخاصة!

ثم استأنف حديثه قائلاً: إنه يختتم ملاحظاته مباركًا علاقات الصداقة والود التى سادت والتى يجب أن تسود دائمًا بين ملاك مزرعة الحيوانات وسائر جيرانهم، فلم يعد بين الخنازير والبشر أى تضارب فى مصالحهم؛ فإن طريق كفاحهم واحد، ومصاعبهم مشتركة تكاد تدور فى جميع الأحوال حول مشاكل العمالة والعاملين.

ثم اختنقت الكلمات فى حلق مستر بلكنجتون وكأنه كان يخشى أثر وقوعها على مضيفيه، وقد تردد فى التصريح بها، وبدا عمق هذه المجاهدة النفسية عليه حينما حاول أن يكتم بعض الضحكات فى صدره!

ثم إنه أطلق نفسه أخيرًا على سجيتها موجهًا كلامه لمضيفيه قائلاً: إذا ما كان لديكم مشاكل حيواناتكم فإن لدينا أيضًا مشاكل خادمينا!

وقد هزت هذه المقابلة الفكرية أحاسيس الحضور فانطلقوا جميعهم فى عاصفة من الضحك، ثم أعاد مستر بلكنجتون تهنئته للخنازير على ما بلغته من زيادة ساعات عمل حيواناتها مع خفض وجباتها فى الوقت نفسه؛ كما هنأها أيضًا على سياستها الصارمة إزاءها؛ وختم كلمته طالبًا من الحاضرين الوقوف، واستهل تهنئته بقوله: يا حضرات السادة، دعونا نشرب نخبنا آملين كل الرفاهية لمزرعة الحيوانات!

وقد قوبلت كلمته بصيحات الإعجاب وصوت الأرجل وهى تقرع الأرض، وبلغ الحماس بنابليون أنه ترك مكانه إلى حيث يجلس مستر بلكنجتون وقرع كأسه بكأسه قبل أن يفرغ محتواها فى جوفه!

وحينما هدأ التصفيق ظل نابليون واقفًا وقد أبدى للحاضرين أنه أيضًا لديه ما يقوله، وكعادته دائمًا فقد كانت خطبته قصيرة وإن كانت تصل إلى أهدافها مباشرة، وابتدر كلامه قائلاً:

إنه سعيد بنهاية فترة الشك ما بينه وبين جيرانه، فإن ذوى المصالح من أعدائه قد أطلقوا شائعات خبيثة عن أنه وزملاءه ثوريون ذوو أهداف هدامة؛ كما نسبوا إليهم محاولات مزعومة لإثارة العصيان والشغب بين حيوانات المزارع الأخرى المجاورة وقد كذب نابليون مثل هذه الإشاعات المغرضة قائلاً:

إنه الآن كما كان في الماضي لا ينشد إلا السلام وأن تسود بينه وبين جيرانه علاقات الود والتعاون، وذكر أن مزرعة الحيوانات التي يتشرف بإدارتها ليست إلا مشروعًا تعاونيًا تمتلك أسهمه بالتضامن جميع الخنازير، وأنه مع ثقته بأن سوء الظن القديم بينه وبين جيرانه قد ولى وانتهى؛ فإنه إسهامًا منه في دعم هذه الثقة سيعمل على إدخال تعديلات جديدة على نظام العمل بالمزرعة؛ فقد لاحظ أنه قد فشت منذ زمن طويل عادة سخيفة لدى الحيوانات لا يعرف أسبابها في توجيه بعضها إلى بعض كلمة رفيق، وأنه قد قرر وقف استعمالها، كما أن الحيوانات قد درجت أيضًا على عادة قبيحة لا يعرف أسباب نشأتها في السير في طابور عند صباح الآحاد، ثم الانحناء بالتحية لجمجمة خنزير مثبتة على قاعدة تحت سارية العلم بالحديقة! وأنه قد قرر أيضًا إلغاء هذه الطوابير ودفن الجمجمة! كما تساءل: هل زواره قد لاحظوا علم المزرعة الذي كان يرفرف على ساريته بفناء المنزل؟ فإذا ما كان الأمر كذلك فلا بدّ أنهم قد لاحظوا أيضًا أنه قد أزال من العلم رسم الحافر والقرن!

وإنه قد قرر أن يكون لون العلم أخضر صرفًا؛ ثم وجه حديثه بعد ذلك إلى مستر بلكنجتون معاتبًا له ومبديًا ملاحظاته على خطابه الممتاز الذي تميز بروح الصداقة الخالصة إلا أنه أشار إلى أن جاره العزيز قد أخطأ حينما أورد اسم المزرعة على أنه «مزرعة الحيوانات» وواقع الأمر أن هذا الاسم قد تقرر إلغاؤه أيضًا، وإنه يعلن ذلك للمرة الأولى، فإن الأمانة التاريخية تقتضي أن يخلع على المزرعة اسمها الحقيقي القديم (مزرعة مانور)!

ثم ختم حديثه قائلاً: يا حضرات السادة، إنني أقترح نخبًا لا يختلف

هو وسابقيه فى جوهره وإن اختلف من حيث الشكل فاملئوا كئوسكم حتى نهايتها، وإليكم نخبى يا حضرات السادة متمنيًا مزيداً من الرفاهية لمزرعة مانور!

وقد قوبلت كلمته بالترحيب القلبى نفسه كسابقتها، وشربوا كئوسهم حتى الثمالة!

وكانت الحيوانات تنظر لما يدور وقد أدركت أن شيئًا غريبًا يلوح فى الأفق؛ فما عادت تعلم ما الذى أبدل ملامح الخنازير؟ وظلت عينا كلوفر الذابلتان تنتقلان من وجه خنزير إلى آخر، فمنها: ما كان لغده ذا خمس طيات، ومنها ما كان له أربع أو ثلاث، ولكن كلوفر لم تعد تدرى ما الذى جد على الخنازير أوعليها هى؟ فما عادت تميز بين وجه وآخر!

ثم انتهى التصفيق، وعاد الجلوس إلى لعب الورق مستأنفين أدوارهم التى توقفوا عنها ريثما يتبادلون الكلمات والأنخاب! وزحفت الحيوانات بعيداً فى صمت، وما كادت تبتعد عشرين (ياردة) حتى توقفت (ثانيًا) فإن صخبًا مدويًا انبعث من المنزل، فاندفعت تستطلع الخبر عبر النوافذ من جديد، فإذا بها أمام نقاش حام يدور حول مائدة اللعب، وعلا الصياح والدق بقبضات الأيدى على المائدة، وتبادل الرجال والخنازير الاتهامات، وانبعثت من أعينهم نظرات الشك: فمنهم من يوجه الاتهامات، ومنهم من ينفيها فى عصبية ظاهرة، وقد اتضح أن سبب الشقاق هو أن نابليون أو مستر بلكنجتون كان يغش فى اللعب، فقد رمى كل منهما بالورقة الواحدة نفسها تلو الآخر!

وعلت نبرات الغضب من اثنى عشر صوتًا تشابهت نبراتها،

وتشاكل أصحابها، فما عادت الحيوانات تدرك: أين الخنازير؟ وأين الرجال؟

ففي الخارج كانت المخلوقات التعسة تنتقل بأبصارها من الخنزير إلى الرجل، ومن الرجل إلى الخنزير، ومن الخنزير إلى الرجل مرة أخرى وقد اختلط عليها الأمر، فما عادت تميز بين هؤلاء وهؤلاء!

«مزرعة الحيوانات» هى رائعة جورج أورويل الخالدة.. اختيرت دائمًا ضمن أفضل الأعمال الأدبية فى القرن العشرين .. تُرجمت لأكثر من سبعين لغة.. وقرأها الملايين فى كل أنحاء العالم.. طُبعت هذه الرواية الأشهر لكاتبها للمرة الأولى فى عام ١٩٤٥ .. وتحكى عن مجموعة من الحيوانات قررت القيام بثورة ضد مالك المزرعة لتحكم نفسها بنفسها وتتولى شئون حياتها. وهنا برع أورويل فى أن يُجرى نوعًا من الحكمة السياسية الساخرة والممتعة على ألسنة الحيوانات، تكشف التناقض الحاد بين الشعارات الثورية وممارسات الحكام بعد الثورة، على خلفية نقده اللاذع للديكتاتور السوفيتى جوزيف ستالين.. لكنه يتجاوز ذلك أيضًا ليغوص بعيدًا فى أعماق الحيوانات التى منها - وليس على رأسها - الإنسان.

يعتبر جورج أورويل (١٩٠٣ - ١٩٥٠) من أهم الكُتّاب البريطانيين فى القرن العشرين. ولد فى الهند وعمل فى بورما بالشرطة البريطاني... فى لندن وباريس، وتطوع عام ١٩٣٦ ليحارب فى صفوف الجم... ضد قوات فرانكو الفاشية، ثم عمل بهيئة الإذاعة البريطاني... حتى نهاية حياته. اهتم أورويل طوال حياته بالدفاع عن... والديمقراطية ومحاربة الدكتاتورية والفقر والظلم. وك... الصحفى والمذكرات والرواية. من أهم رواياته: «مزرعة ال...

6 221102 023566

دار الشروق
www.shorouk.com